مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان ، السنة التاسعة ، العدد 86 ، شوال 1415هـ / مارس 1995م

كلمة صغيرة
- اسكت تسلم -

أيها الإسلاميون في مشارق الأرض ومغاربها .. حتى لا تتعرضوا لأي هجوم ولتضمنوا العيش بسلام ، وحتى لا تتعرضوا للمصادرة والسجن والتشريد وربما الإعدام : التزموا الوصايا العشر التالية :

1- ألغوا مطالباتكم بتحكيم الشريعة الإسلامية ! .
2- توقفوا عن معارضة تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني ! .
3- لا تنتقدوا مظاهر الفساد والانحلال ! .
4- ألغوا التفكير في الجهاد في سبيل الله ! .
5- تهاونوا مع خطط تغريب المجتمع المسلم ! .
6- اعتقدوا أن تخريب الإعلام والتعليم إنما هو تطوير ! .
7- اعطوا المرأة حقها في التحرر من الإسلام وتعاليمه ! .
8- لا تعترضوا على العلمانية المهاجمة لدينكم ، فهذه حرية تعبير ! .
9- اقبلوا تحجيم العمل الإسلامي تحقيقاً لرغبة النظام العالمي الجديد ! .
10- قولوا بقول النصارى (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ! .

بذلك تسلمون وتعيشون بأمان في (فاتيكانات) خاصة لكن بلا سفارات .

يا قوم لا تتكلموا .. إن الكلام محرمُ

الافتتاحية
عنوان يختصر واقعاً

كان من الصعوبة بمكان أن تناقش أو تحاور أو تجادل .. فالطرف الآخر قد سد كل قنوات الاتصال ، وليس بالإمكان إلا أن تتقوقع حول قناعتك وإيمانك بأن قادة الغرب يقولون : » دمروا الإسلام .. أبيدوا أهله « [*] ، فالإسلام في تلك الفسحة التاريخية القريبة كان ينحصر في مصطلح » القوى الرجعية « التي تحاول أن تقف في طريق » الحل التقدمي « وتزرع دربه الهادر بأشواك صغيرة ، كانت في نظر الجمهور » تؤذي « ولكنها لا » توقف « زحف القومية المنتفشة أو اليسار المتحرر ... كان شائعاً في ذلك الوقت نظريات خرافية من طراز » خيانة العمائم « و » الارتباط بالاستعمار « و » الدراويش البلهاء « ... ولهذا فقد كان عنوان الكتاب المذكور بمثابة بيضة هشة تواجه جداراً صلداً مغروراً لا يمكن أن يتحمل مجرد التحمل أن يسمع أن للإسلام تاريخه الناصع أو خياره الحضاري أو مشروعه السياسي الذي يهدف إلى أن تحكم البشرية بشرع الله ..

اليوم يقف الجدار الصلد مذعوراً ... مجرد أن تهمس باسم الإسلام ينتفض ، وحين تشير إلى حملة رسالته تخرج حمم البركان قاذفة شيئاً من مخزون الحقد الهائل المروّع ...

مسافة زمنية قصيرة تلك التي فصلت بين السخرية والاستهزاء على شاطئ الأمس » القريب « وهذا الفزع والهلع والتخبط في عصر » المسلمون

قادمون « ! ! ، أصبح العالم المتربص بهذا الدين أشبه ما يكون بقلب يضرب بأقصى سرعة ويثير الأوعية الدموية في مختلف أنحاء الجسم الأرضي ليفرّغ ما لديه من دم ليعاود ضخّه من جديد في المعركة ، فالقلب المضطرب حذرٌ وجلٌ ، والمسلمون في أنحاء البسيطة يرفضون الموت ويقاومون الدم الفاسد ...

الغرب كما يقول مفكر بريطاني كان ينظر إلى الإسلام قبل عقدين نظرة العقيدة المتراجعة التي كان يحسن أن توظف لمكافحة الشيوعية الأثيمة ... واليوم تقف الصليبية واليهودية والشيوعية والهندوسية والديكتاتورية المحلية لتخوض حرب القبائل المتحزبة وتجلب بـ » خيلها ورجلها « من كل ناحية لخنق هذا المارد الذي بدأ يتململ ...

المعركة ضخمة وكبيرة بل ومصيرية وتحتاج إلى كم هائل من الذخيرة والعتاد؛ ولهذا نستطيع أن نتلمس بعض الفروق بين حرب الإسلام اليوم وبين معارك الغرب القريبة مع النازية والفاشية والشيوعية .

وأهم هذه المعالم :

*أنها المعركة الأولى التي تجري بين الغرب الصليبي وتراثه من جهة ، وبين هذا الدين الضارب بجذوره في التراث والصدور من جهة أخرى ، فهي معركة دينية ، وهي تعيد إلى الأجواء عصور » ريتشارد قلب الأسد « ونفير جنود الصليب ، وفي هذا الإطار وكما كانت المعركة بالأمس فإن الغرب هو البادئ ، حيث يشعر بالقوة والسيطرة وضرورة المبادرة قُدماً في حصار المسلمين قبل أن يشبوا عن طوق العجز .

*أن حشد الجانب الغربي كان سريعاً ولاهثاً ويغلب عليه الانفعال والتهويل ، ففي المعارك السابقة كان الجانب الآخر كالنازية قد كونت كيانات وقوة مهددة بل عدوانية ، بينما المسلمون اليوم وخلال أعوام قليلة يواجهون ترسانة الغرب الإرهابية بأسلحتها العاتية المتغطرسة .

*أن معالم الصراع قد وحدت بين النصرانية المحرّفة واليهودية الضالة مما أعاد ذكريات المعارك الأولى في فجر الإسلام وأصبح الاستعراض العام لمسرح المعركة يكشف عن قوة هذا التحالف ويزنه بميزان القرآن الكريم الذي أفرد مساحة كبيرة لخطورة هذا الحلف منذ أن بزغ نور الرسالة .

*الصراع متنوع ويختبئ وراء لافتة محاربة الإرهاب ، لكن أحداث الساعة كشفت عن أن أجساد الشيشان وأعراض البوسنيات وحجاب الفتيات العفيفات : » إرهاب حضاري « لابد للوقوف في وجهه من صب البارود ، ونصب المشانق ، وشق الأخاديد .

لم تعد » العمائم « و » اللحى « و » الدراويش « أدوات يوظفها العدو والصديق في معارك جانبية أو قضايا هامشية ... إنها اليوم تقف أمام أعتى حصار دولي أصبح يولول بلا مواربة أو دبلوماسية صارخاً : » دمروا الإسلام ... أبيدوا أهله « ثم لا يلبث المذعورون إلا أن يتمتموا بنفس اللازمة في مشهد من مسرحية الصراع بين دين حمل لواء إنقاذ البشرية .. وبشرية ضالة حملت لواء إطفاء نور الله بيدها ... والله متم نوره ولو كره الكافرون والعمي المرتجفون من شعاع الشمعة اليتيمة فضلاً عن النور الوقاد ...

لم تعد أخبار الإذاعات العالمية تحمل في ثناياها إلا تفاصيل المعركة المشتعلة، ولا يمكن اعتبار النشرة الإخبارية شيقة ! مالم يتصدر الإسلام وحملته عناوينها ، لقد أصبح هذا الدين المطارد بلا مواربة القصعة التي اجتمعت عليها الدنيا بمختلف مشاربها واتجاهاتها وشاراتها ، ومع كل سهم يوجه ، ويدٍ تغتصب وجرح ينزف ، كل ذلك مطارق توقظ الأمة من نومها ، والأعداء بذلك يقدمون للأمة أكبر خدمة

وأعظم فرصة لتأخذ مسارها ووضعها وموقعها الطبيعي ...
عنوان هذا الكتاب أصبح البند رقم واحد في السياسة الدولية !

(*) عنوان كتاب رائج/ لجلال العالم .

الشرع والواقع

أزمة تطبيق لا أزمة فهم

د . خميس بن عاشور

عندما نتصفح جملة الإنتاج الفكري المعاصر للمسلمين ، نلاحظ تلك الاندفاعات غير الشعورية التي ربما تفسر ذلك الاضطراب النفسي الناتج عن الحيرة المنهجية في كيفية التعامل مع الموروث الثقافي ، ومن ملامح هذا الاضطراب المنهجي : عدم الفصل بين الدين الحقيقي الذي تمثله نصوص الوحي الإلهي (الكتاب والسنة الصحيحة) وبين إضافات علماء المسلمين من تفسيرات وشروح قد تكون سليمة وقد تكون عكس ذلك ، وعندما نُفصّل أكثر : نجد أن أهم اضطراب في هذا المجال هو موقف العلماء والمفكرين من العمل في المنظور الإسلامي باعتباره بعداً (فلسفياً) .

إن أصحاب الفكر الإرجائي قديماً وحديثا ركزوا كثيراً على تفسير الإسلام وشرحه ومحاولة فهمه فهوماً تختلف باختلاف المنابع الفكرية والبدع (الأيديولوجية)، ولكن بالرجوع إلى نصوص الدين الإسلامي نجدها تدل دلالة واضحة على أن مشكلة فهمه وتوضيحه ليست مطروحة بهذه الكيفية المعقدة ؛ فالقرآن بيان للناس ، والبيان في اللغة هو الوضوح ، فالقرآن واضح الدلالة بنفسه ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم [النحل : 44] وقوله صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها » [1] ، وهذا معناه : الوضوح والمفهومية .

ومن هنا نقول : إن الأزمة إذاً أزمة عمل وتطبيق لا أزمة فهم وتفسير ، وبالتالي : فالاستقامة على وفق دعوة الإسلام في الوقت الراهن وفي جميع أوقات انحطاط المسلمين هي القضية التي يمكن أن تكون مستقبَلاً علاجاً لهذا الاضطراب النفسي والجمعي لدى مفكري الحركة الإسلامية المعاصرة ، وبعد ذلك يمكن أن تطرح قضية اللغة والدعوى التي لا دليل عليها في هذا المجال وهي أن لغة المسلمين أثناء فترة التنزيل ليست هي لغة المسلمين اليوم ، وهذا خطأ فاحش ، فالقرآن عربي مبين إلى يوم القيامة ، وتعلم اللغة العربية ميسر أكثر من أي وقت مضى ، فالقرآن العربي إذن واضح ومفهوم ومفسر بنفسه وبالسنة النبويةالصحيحة بشرط معرفة لغته .

وهذه العملية - أي : عملية تعلم لغة القرآن - أصيبت بجرثومة يمكن أن يقال لها : « ذهان الصعوبة والاستحالة » ، وهذا المرض الجرثومي أنشأ أمراضاً أخرى - أو بالأحرى بدعاً فكرية أخرى - بدأت تطرح قضية خطيرة ومهمة وهي البحث عن وسائل لفهم الإسلام من خارج نصوص الإسلام الإلهية ، ولهذا سيطر الفكر الإرجائي على الساحة الرسمية للمسلمين - إلا من رحم ربك - ، هذا الفكر الذي يجعل العمل مشروطاً بشروط جعلت منه قضية فلسفية مثالية لا نجدها إلا في صفحات ومخيلات أصحابها ، وبالتالي : بدا الإسلام عند هذه الفئة عبارة عن تراث فكري جميل يدرس من أجل نفقات الأبهة والبهارج الرسمية التي هي بمثابة التوابل للطعام لا أكثر ولا أقل .

إن الإسلام الممثل في نصوص الكتاب والسنة قد بين للناس قيمة العمل والتطبيق والاستقامة عليه ، بل إنه جعل العمل هو العبادة ، فالعبادة هي أن يعمل

المسلم كل ما يحبه الله ويرضاه ، فالصلاة عبادة ، والخشية من الله عبادة ، والرجاء والتوكل عبادة ، وتعليم الناس عبادة ، والجهاد في سبيل الله عبادة ، ومعاملة الناس بسلوك حسن عبادة ، وغير ذلك من مجالات الحياة الواسعة .

قال (تعالى) : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ ، فهذه الآية المجملة المختصرة قد جمعت بمضمونها توحيدي الربوبية والألوهية ، وهي في حد ذاتها عنصر وأصل من أصول المنهج الإلهي ، فقصر الخلق على الله (عز وجل) بيان لتوحيد الربوبية وكل ما يتعلق به من رزق وتدبير وإحياء وإماتة .. ، وقصر الأمر فيها بيان لتوحيد الألوهية أي : العبادة وكل ما يتعلق به من مقتضيات وعلى رأسها : الاستقامة وفق الأوامر والنواهي ، وهذه النواهي هي كذلك أوامر بالترك .

فالأزمة إذاً قد تفرعت ، وأصبح المسلمون والذين يأمرونهم قد يخالفون ما أمر الله به ، وقد يفعلون ما نهى الله عنه ، وهذا المنهج الذي هو واقع بالفعل هو نتيجة اتباع الهوى ، وقد أظهر لنا إسلاماً موازياً للإسلام الحقيقي الإسلام الذي تمثله نصوص الوحي الإلهي (الكتاب والسنة الصحيحة) ، وفي هذه الحالة فإنه لابد أن تتشكل الحركة الإصلاحية التي تعمل على توضيح الحقائق الشرعية ، وهذه هي مهمة العلماء العاملين الذين ورد ذكرهم في الأثر القائل : » يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الغالين وانتحال المبطلين « [2] .

والله الموفق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

---

(1) أخرجه ابن ماجه : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح/43 ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ج1 ص13 .
(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى : كتاب الشهادات ، باب الرجل من أهل الفتيا يسأل عن الرجل من أهل الحديث ، ج 10 ص209 ، وصححه الإمام أحمد كما في مفتاح دار السعادة ج1/163 ، 164 .

- البيان - .

دراسات شرعية

نظرة في المصطلحات العقدية

سعد بن محمد آل عبد اللطيف

تشهد الساحة الإسلامية في المجال الفكري فوضى في الاصطلاحات ، فهذا يجعجع بالمصطلحات المحدثة نابذاً خلفه المصطلحات الشرعية ، وذاك يستتر بباطله خلف المصطلحات الشرعية لتزيين الباطل وترويجه بين الناس ، والآخر يرفض جميع الاصطلاحات المحدثة ولو كانت ذات معنى صحيح .

إن تحديد الاصطلاحات وتوضيح مدلولاتها يساعد كثيراً على إزالة الإشكال في الفهم ، وحسن الظن بالآخرين ، والوصول إلى الحق ، وتضييق دائرة الخلاف ، ويغلق الباب أمام سيل جارف من الشرور والفساد ، ويحول دون تسلل دعاة الزندقة وأهل الأهواء إلى الساحة بترويج أباطيلهم وبدعهم .

والاهتمام بهذا الموضوع هو جزء مهم من مسألة التأصيل العلمي الشرعي في الصحوة العلمية التي تشهدها الأمة الإسلامية . وهذه السطور هي محاولة متواضعة في هذا الباب ، وسيكون تناولي لهذا الموضوع على النحو التالي :

1- أهمية الاعتناء بالاصطلاحات الشرعية :

تأتي أهمية الاعتناء بالاصطلاحات العقدية كالإيمان والكفر والنفاق ... لأنها مما جاء في وحي الله (عز وجل) فلها حرمتها ؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : ومن الأصول الكلية أن يُعْلَم أن الألفاظ نوعان : نوع جاء به الكتاب والسنة

فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله ، فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق ؛ فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ، يثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني ، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر ونطيعه في كل ما أوجب وأمر [1] .

والتعبير عن الحق بالمصطلحات الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة ؛ قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية (رحمه الله) : والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة [2] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : .. والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها ، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها ، وهي تنزيل من حكيم حميد ، والأمة متفقة عليها ، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم ، وفيها من الحِكَم والمعاني مالا ينقضي عجائبه . والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع ، ثم قد يجعل اللفظ حجة بمجرده وليس هو قول الرسول الصادق المصدوق ، وقد يضطرب في معناه ، وهذا أمر يعرفه من جربه من كلام الناس ، فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام ؛ كما قال (تعالى) : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ [آل عمران : 103] ومتى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث وبين معناها بياناً شافياً : فإنها لا تنتظم فقط جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة ، بل فيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس ، وهي محفوظة مما دخل في كلام الناس من الباطل ؛ كما قال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : 9] [3] .

ولابد من توضيح الاصطلاحات للناس حتى لا يلتبس الحق بالباطل ، وليس كما فعل الفلاسفة الإسلاميون ، فقد سعوا إلى ترويج الفلسفة اليونانية الوثنية بأسماء ومصطلحات شرعية حتى يوجدوا لتلك الفلسفة قبولاً عند الناس تحت هذه الأسماء والمصطلحات الشرعية التي تعظمها نفوس المسلمين ؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) فيهم : .. ثم إنهم لما سمعوا (أي : الفلاسفة الإسلاميون) كلام الأنبياء أرادوا الجمع بينه وبين أقوالهم ، فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانيهم ، ويسمون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء ، ثم يتكلمون ويصنفون الكتب بتلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء فيظن من لم يعرف مراد الأنبياء ومرادهم أنهم عنوا بها ما عناه الأنبياء ، وضل بذلك طوائف [4] مثال ذلك : الملائكة ، فهي عندهم : هي العقول العشرة ، واللوح المحفوظ : هو النفس الفلكية ... ، إلى غير ذلك .

2- خطورة الاصطلاحات المجملة التي لم تحدد :

الاصطلاحات المجملة هي اصطلاحات تحمل حقاً وباطلاً وتشتمل على صواب وخطأ ، وعدم تحديدها يكون سبباً في وقوع الخلاف والشقاق ؛ يقول شيخ الإسلام (رحمه الله) : ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها أو بين مراده بها ، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي ، فإن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة ، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلاً عن أن يعرف دليله .. [5]

ويقول ابن القيم (رحمه الله) : فأصل ضلال بني آدم من الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة ، ولا سيما إذا صادفت أذهاناً مخبطة ، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب [6] .

وهناك فريقان عبر تاريخ الأمة الإسلامية قد تحدثوا بمصطلحات مجملة محدثة، كانت سبباً في ظهور البدع وفشوها بين الناس .

الفريق الأول : الصوفية : فقد كان التصوف في مراحله الأولى قد أكثر فيه من استخدام المصطلحات المجملة التي تحمل حقاً وباطلاً ؛ كالغناء مثلاً ، فجاء مِن بعدهم مَن تعلق بهذه الاصطلاحات ، وأصبح يستدل على مذهبه الفاسد من وحدة الوجود أو سقوط التكاليف بأقوال هؤلاء المشايخ .

يقول ابن القيم (رحمه الله) : فإياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها فإنها أصل البلاء ، فإذا سمع ضعيف المعرفة والعلم بالله (تعالى) لفظ : اتصال وانفصال ، ومسامرة ومكالمة ، وأنه لا وجود في الحقيقة إلا وجود الله ، وأن وجود الكائنات خيال ووهم ، وهم بمنزلة وجود الظل القائم بغيره : فاسمع منه ما يملأ الآذان من حلول واتحاد وشطحات ، والعارفون من القوم أطلقوا هذه الألفاظ ونحوها ، وأرادوا بها معاني صحيحة في أنفسهم فخلط الغالطون في فهم ما أرادوه ونسبوه إلى إلحادهم وكفرهم واتخذوا كلماتهم المتشابهة تُرساً لهم وجُنة [7] .

الفريق الثاني : أهل الكلام : الذين استخدموا مصطلحات محدثة مجملة في مجادلتهم مع الملاحدة والفلاسفة ونحوهم .

يقول ابن تيمية (رحمه الله) : وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة (المبتدعة) كلفظ الجسم والجوهر والعَرَض وحلول الحوادث ونحو ذلك ، كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله ، فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك ، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم ، فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنة ، إذ لو كانت كذلك لم تكن باطلاً ، ولا تكون باطلاً محضاً لا حق فيه ، إذ لو كانت كذلك لم تخْفَ على الناس ، ولكن تشتمل على حق وباطل ، فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل : إما مخطئاً غالطاً ، وإما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد [8] .

3- استخدام المصطلحات المحدثة :

لابد أن يحرص المسلم على استخدام المصطلحات الشرعية ، أما المصطلحات المحدثة فلابد من عرضها على الكتاب والسنة للتحقق من صحة دلالتها على المطلوب ؛ قال (تعالى) : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء : 59] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : وأما الألفاظ التي تنازع فيها أهل الكلام ، فلا تُتلقى بتصديق ولا تكذيب حتى يُعرف مراد المتكلم بها ، فإن وافق ما قاله الرسول كان من القول المقبول ، وإلا كان من المردود ، ولا يكون ما وافق قول الرسول مخالفاً للعقل الصريح أبداً ، كما لا يكون ما خالف قوله مؤيداً ببرهان العقل أبداً [9] .

ويقول أيضاً (رحمه الله) : وأما مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة ؛ كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم ، فإن هذا جائز حسن للحاجة [10] .

ثم يقول بعد ذلك : والسلف والأئمة الذين ذموا وبدّعوا أهل الكلام في الجوهر والجسم والعرض تضمن كلامهم ذم من يدخل في المعاني التي يقصدها هؤلاء بهذه الألفاظ في أصول الدين : في دلائله ، وفي مسائله : نفياً وإثباتاً .

فأما إذا عرف المعاني الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة ، وعبر عنها لمن يفهم بهذه الألفاظ ليتبين ما وافق الحق من معاني هؤلاء وما خالفه ، فهذا عظيم المنفعة ،

وهو من الحكم بالكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه ؛ كما قال (تعالى) : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة : 213] وهو مثل الحكم بين سائر الأمم بالكتاب فيما اختلفوا فيه من المعاني التي يعبرون عنها بوضعهم وعرفهم ، وذلك يحتاج إلى معرفة معاني الكتاب والسنة ، ومعرفة معاني هؤلاء بألفاظهم ، ثم اعتبار هذه المعاني ليظهر الموافق والمخالف [10].

وهذا المنهج قد استخدمه شيخ الإسلام في كتبه ومناظراته مع الخصوم ، ومن أمثلة ذلك : قوله (رحمه الله) : فيقال له : لفظ الجوهر والعرض في الاصطلاح الخاص : ليس نفيهما عن الله من الشريعة ، كما أنه ليس إثباتهما من الشريعة ، بل سلف الأمة وأئمتها أنكروا على من تكلم بنفيها ، كما أنكروا التكلم بإثباتها وعدوا ذلك بدعة ، فليس لأحد أن ينفي بهذين اللفظين الذين ليس لهما أصل لا في نص ولا في إجماع ولا أثر إلا بحجة منفصلة غير هذا اللفظ ، إذ الحجج التي يستدل منها باللفظ لابد أن يكون لفظها منقولاً عمن يجب اتباع قوله وهو الكتاب والسنة والإجماع ، فكيف باللفظ الذي لا يُنقل عن إمام في الدين ولا أحد من سلف الأمة [11] .

---

(1) مجموع الفتاوى (12/113 - 114) .
(2) شرح العقيدة الطحاوية (1/70 ، 71) ت : د التركي والأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ط الأولى 1408هـ .
(3) النبوات (333 ، 334) دار الكتب العلمية ، ط الثانية 1414 هـ .
(4) النبوات (249) ، وانظر بُغية المرتاد : (219) ت : د موسى الدويش ط الأولى 1408هـ .
(5) مجموع الفتاوى (12/114) .
(6) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ج/3/927 ، ت : د علي الدخيل الله ، دار العاصمة 1412هـ .
(7) مدارج السالكين (3/158) دار الحديث .
(8) درء تعارض العقل والنقل (2/104) ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ت : د/ محمد رشاد سالم ط الأولى 1400هـ .
(9) درء تعارض العقل والنقل (5/58) .
(10) مجموع الفتاوى (3/306 - 308) .
(11) نقض تأسيس الجهمية (2/383-384) ت/ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم ط الأولى 1392 هـ مطبعة الحكومة .

دراسات دعوية

الترف
وخطره على الدعوة والدعاة
-2-

فيصل البعداني

تطرق الكاتب الكريم في الحلقة السابقة إلى بيان حقيقة الترف وموقف الإسلام منه وأهم مظاهره وأسبابه وأهم آثاره العامة والخاصة ، ونواصل معاً الاطلاع على المزيد من الإيضاح والبيان لجوانب أخرى من هذا الموضوع .

-البيان-

الآثار السيئة للترف على مسيرة الدعوة :

*أن المترفين من الدعاة حريصون على تقليد تجارب دعوية سابقة ، وقل أن يبرز من أوساطهم قيادات دعوية جديدة تتأمل في تجارب من سبقها وتأخذ منها ما كان صالحاً في نفسه ومناسباً للمرحلة التي تمر بها الدعوة ، وما لم تجده لدى السابقين كذلك اجتهدت فيه على ضوء تعاليم الشرع وفي ظل متطلبات الواقع .

*عدم تقدم الدعوة إلى مراحل متقدمة ، بل تأخرها إن لم يصل الأمر إلى انشقاقها نتيجة اختلاف الرأي بين المترفين وغير المترفين من الدعاة حيث إن المترفين غالباً ضعيفو الرأي ، والعميق منهم في رأيه يكون الأصل فيه مراعاة استمرار أسباب ترفه حتى وإن لم يستشعر ذلك في ذهنه وغير المترفين غالباً هم الأكثر عمقاً في الرأي وسبر حقائق القضايا والمسائل من غيرهم ، ولكن زمام اتخاذ القرار والمبادرة غالباً بيد من بإمكانه مد الدعوة بالمال والقدرة على الإنفاق على مشاريعها - بيد المترفين - ، ورجوع أولئك عن رأيهم إلى ما يراه غيرهم قليل في الغالب نظراً لما يوجده الترف لديهم من استعلاء وكبر خفي يحجزهم في أكثر الأحيان عن قبول الحق ممن ليس على شاكلتهم ، ولن يعجزوا عن التبرير وسوق الحجج لأن باب الاستغلال السيء لمصلحة الدعوة مشرع للجميع وليس من عادته رد أحد .

*كون المترفين أكثر عرضة للفتور والتراجع عما هم عليه من خير ودعوة أمام الفتن التي تلازم في الغالب الدعاة ، والعقبات التي تعترض مسيرة الدعوة ، بل إن بعضهم قد يتحول أمام المغريات والخوف من أفول الترف وانصرام الملذات إلى الوقوف في وجه الدعوة ، وكَيْل التهم لها ، وإثارة الشُبَه حولها ، ومحاولة الوقيعة بين حَمَلتها .

*أن الداعية المترف متعود على الإنفاق على خواصه بكثرة وسعة ؛ فإذا أوكل إليه شيء من أموال الدعوة فعل بها كما يفعل بماله غالباً ، والأصل أنها لا تصرف إلا في الأمور الضرورية والحاجية ، وما زاد عن مكان فالمكان الآخر في أمس الحاجة إليه .

*أن الداعية المترف أقل اهتماماً بدعوته والقيام بها من غيره ، وذلك لأنه عقد همته للشهوات والتلذذ بالنعم والملذات وطلب أسباب ذلك ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى : هو عاجز عن القيام بأمور نفسه فكيف يقوم بأمور الدعوة وهي ضرب من الجهاد ؟

*أن الداعية المترف أقل إفادة للمدعوين من غيره ، وذلك لأن انغماسه في النعيم وتحصيل أسبابه مانع له من التزود بالعلم الشرعي ، مما يعني اكتفاءه بتقديم ما عنده من معلومات ، فإذا انتهت بدأ بتكرارها ، وهكذا .

*الترف من أسباب زوال الدعوات وأفولها ما لم يبادر كبار الدعاة إلى إصلاح الوضع وتسديد الأمر لأن انتشار الترف بين مجموعة من الدعاة من غير نكير يؤدي إلى اتساع انتشاره بين فئات أخر ، نظراً لحب النفوس لذلك واتخاذ كل فئة لمن قبلها قدوة ، مما يؤدي إلى ضعف الأنشطة في البداية نتيجة فتور بعض الدعاة ، وبعد ذلك يبدأ تساقط الفاترين مجموعة بعد مجموعة نتيجة الانهماك بزخرف الحياة والتشاغل بزينتها .

*الترف يدفع الدعاة إلى عدم نشر الدعوة بقوة وجدية بين كافة فئات المجتمع، كما أنه يؤدي إلى فتور المربين عن ممارسة الأعمال التربوية نظراً لمشقة ذلك على النفس وما تتطلبه العملية التربوية من وقت وجهد وبذل ، وذلك ما يعجز عنه المترفون نظراً لعدم تعودهم عليه .

علاج الترف وكيفية تجاوزه :

سيكون هناك بسط للحديث - نوعاً ما - في هذا الجانب نظراً لأهميته ، وسيتم تقسيم هذه الفقرة إلى ثلاثة محاور :

أ- من هدي السلف في التعامل مع زهرة الحياة وزخرفها :

لابد للمترف من النظر في هدي السلف في التعامل مع متع الحياة وملذاتها ، للأخذ منه والسير على منواله ، ونظراً لكثرة ما ورد عن السلف في ذلك فسأحاول

ذكر أبرز معالم هديهم في ذلك والاستشهاد لذلك ببعض أقوالهم وأفعالهم :
*تربية النفس على عدم تحقيق كل ما تشتهيه مع قدرة العبد على تحقيق مطلوبها ؛ قال رجل لابن عمر (رضي الله عنه) : ألا أجيئك بجوارش ، قال : وأي شيء هو ؟ قال : شيء يهضم الطعام إذا أكلته ، قال : ما شبعت منذ أربعة أشهر ، وليس ذاك أني لا أقدر عليه ، ولكن أدركت أقواماً يجوعون أكثر مما يشبعون [1] ، وفي رواية : ولكن عهدت أقواماً يجوعون مرة ويشبعون مرة [2] . وسئل الحسن عن الرجل يبتاع الطعام ويبتاع اللحم ، هل عليه في ذلك ؟ فقال : إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : كفى سرفاً ألا تشتهي شيئاً إلا أكلته [3] .
*أن ما يكون ترفاً من رجل قد لا يكون ترفاً من آخر ، حيث كان السلف (رحمهم الله تعالى) يفرقون بين الرجل الغني والرجل الفقير ، فيقبلون من الغني من التوسع ما لا يقبلونه من الفقير ؛ عن عبد الله بن حميد قال : مر جدي على عمر ابن الخطاب وعليه بردة فقال : بكم ابتعت بردك هذا ؟ قال : بستين درهماً ، قال : كم مالك ؟ قال : ألف درهم ، قال : فقام إليه بالدرة فجعل يضربه ويقول : رأس مالك ألف درهم وتبتاع ثوباً بستين درهما ؟ ! [4] ، وفي حين كان عمر يصنع ذلك بهذا الرجل ذكر ابن سعد عن سعد بن إبراهيم قال : كان عبدالرحمن بن عوف يلبس البُرد أو الحلة تساوي خمسمائة أو أربعمائة [5] ، وذكر الأصفهاني عن عثمان بن أبي سليمان : أن ابن عباس اشترى ثوباً بألف درهم فلبسه [6] .
ومما ينبغي أن يلحق بذلك اختلاف البلدان غنى وفقراً ، وكذلك اختلاف الأوقات من حيث نزول النوازل بالمسلمين أو عدم ذلك ، ففي البلد الغني في حال الأمن واستقرار أحوال المسلمين يتساهل في التوسع في استعمال المباحات أكثر من التساهل بذلك في البلد الفقير ، أو في حال نزول المصائب والبلايا على المسلمين .
*النظر إلى ملذات الحياة الدنيا وشهواتها على أساس أنها وسيلة زائلة تقرب إلى الدار الآخرة لا أنها غاية في ذاتها وهدف يطمح إلى تحقيقه والتشبث به ، قال عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) في آخر خطبة له : إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، لا تبطركم الفانية ، ولا تشغلكم عن الباقية ، آثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله (عز وجل) [7] .
*التوسط في الإنفاق على النفس والأهل ؛ قال عبدالملك بن مروان لعمر ابن عبدالعزيز : كيف وما يغنيك ؟ ، قال : الحسنة بين السيئتين ، قال الله (تعالى) : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ [الفرقان : 67] [8]، وقال الحسن : إن من علامة المؤمن : ... ولا يقصر به بيته ، ولا يبخل ولا يبذر ، ولا يسرف ولا يقتر [9] ، وعن سفيان ، قال : كانوا يكرهون الشهرتين : الثياب الجياد التي يشتهر فيها ويرفع الناس فيها أبصارهم ، والثياب الرديئة التي يُحتقر فيها ويُستَذَل دينه [10] .
*الإنفاق في وجوه البر والخير والحث على ذلك ؛ فعن علي (رضي الله عنه) قال : ما أنفقت على نفسك وأهلك من غير سرف ولا تقتير فلك ، وما تصدقت فلك، وما أنفقت رياء وسمعة فذلك حظ الشيطان [11] ، وعن الزهري ، قال : تصدق ابن عوف على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشطر ماله ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة [12] ، وعن الحسن ، قال : باع طلحة أرضاً له بسبعمائة ألف ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقاً من مخافة المال حتى أصبح ففرقه [13] ، وعن مغيث بن سمي ، قال : كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله وليس معه

منه شيء [14] .

*السعي في طلب الرزق بدون مغالاة توصل العبد إلى التفريط في الطاعات ؛ ومن ذلك : ما جاء عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئت بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك [15] ، وعن ثابت البناني ، قال : ذكر أنس سبعين رجلاً من الأنصار كانوا إذا جنهم الليل أودوا إلى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن ، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة أصاب من الحطب واستعذب من الماء ، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها فكانت تصبح معلقة بحُجَر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [16] ، وقال القاسمي: وكان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق لأهل الذمة والصبيان [17] .

*الحث على شغل الإنسان وقته بما ينفعه ديناً ودنيا ، والتحذير من البطالة والفراغ ، قال عمر (رضي الله عنه) : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة [18] ، وقال ابن مسعود : إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته [19] ، وقيل لأحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال : لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي ؟ فقال : هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي [20] وقوله -صلى الله عليه وسلم- حين ذكر الطير فقال : تغدو خماصاً وتروح بطاناً [21] ، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ، والقدوة بهم [22] .

*الإكثار من محاسبة النفس عند سعة الرزق وانبساطه ، وخشيتهم من أن يكون ذلك استدراجاً ؛ قال عبدالرحمن بن عوف : قُتل حمزة فلم نجد ما نكفنه فيه وهو خير مني ، وقتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم نجد ما نكفنه ، وقد أصبنا منها ما قد أصبنا .. ثم قال : إني لأخشى أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في الدنيا [23] .

وعاد خباباً نفرٌ من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : أبشر يا أبا عبد الله إخوانك تقدم عليهم غداً ، قال : فبكى وقال : أما إنه ليس بي جزع ولكنكم ذكرتموني أقواماً وسميتم لي إخواناً ، وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كلهم ، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم [24] .

ب- توجيهات عامة للمترف يمكنه القيام بها :

*معرفة أن الترف مما لا يليق بالدعاة ، وأن اللائق بهم هو إيثار العمل بدين الله والدعوة إليه والذود عنه ؛ لأن ما عند الله خير وأبقى ، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ؛ قال الله (تعالى) في الحديث القدسي : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [25] ، وقال ابن القيم (رحمه الله) : قال لي شيخ الإسلام في شيء من المباح : هذا ينافي المراتب العالية ، وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة ، ثم يقول : فالعارف يترك كثيراً من المباح إبقاءً على صيانته ولاسيما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام [26] ، وقال (رحمه الله) في الفوائد : من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته [27] .

*على المترف أن ينظر في حوادث الزمان ونوائب الليالي والأيام ، وأنه إن كان غنياً اليوم فقد يكون فقيراً غداً ، وبالتالي : فإنه إن لم يردع نفسه في غناه واغتر بحاله فقد تزول دنياه فجأة ويتحول غناه فقراً وعزه ذلاً ، وعندها تضيق به

الأرض بما رحبت وتسوء عاقبته ، ولله در الشاعر حين قال :

إذا تم أمر بدا نقصه   توقع زوالاً إذا قيل تم

فالعاقل يعد نفسه لتقلب الأحوال وتبدل الأزمان .

*على المترف أن ينظر في مدى الخسارة التي يجنيها نتيجة الاشتغال بمظاهر الترف ، ومن تلك الخسائر على سبيل المثال : ذهاب أمواله سدى ، وكون الوقت الذي يفنى في ذلك غير نافع له في الآخرة مع أنه يدنو بصاحبه من الآخرة ، وضعف محبة العبد لربه لأن اشتغاله بملذات الدنيا وشهواتها يؤدي به إلى حبها حباً يصد عن الطاعة ، ومثل ذلك مُضعف لحب العبد لربه ، قال ابن القيم (رحمه الله) : لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سم الإبرة [28] .

*على المترف أن يدرك أن حصوله على وسائل الترف ومغريات الحياة وشهواتها ليس من أسباب تحصيل السعادة ، والواقع خير شاهد على ذلك ، فكم من رجل بلغ الغاية في الاستمتاع بزهرة الحياة ومتعها ، ومع ذلك نجده كثير الخوف والهموم ، شارد البال ، بل إن الأمر قد يصل به إلى قتل النفس والانتحار ، وكم من رجل مع فقره وصعوبة معيشته نجده في سعادة وهناء وانشراح صدر ، قال الحسن: أهينوا الدنيا ، فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن هانها [29] ، وقال الشاعر :

ولست أرى السعادة جمع مال   ولكن التقي هو السعيد

*الحذر من تقليد البيئة التي يعيش فيها في كل شيء ، والتنبه لعدم أخذ التصورات والقيم إلا من طريق الإسلام ، لأن من أبرز أسباب الترف -كما سبق - حب التقليد للمترفين في المجتمع وإرادة مباهاتهم وحب البروز والتعالي عليهم نتيجة رفع كثير من المجتمعات من شأن الدنيا وزخرفها ، وتحويل ذلك إلى غاية وقيمة بعد أن كان وسيلة وزينة ، والطريق لتجاوز ذلك وتلافيه : تعويد الإنسان نفسه الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة لمعرفة حكمها في الشيء المراد فعله قبل مباشرة ذلك ، وعندما يطبق المرء ذلك ستتضح له القيم والسلوكيات المخالفة لتعاليم الإسلام في المجتمع - ومنها الترف والتباهي به - فيسعى إلى الحذر منها وتجنبها .

*لابد للعبد من إشغال نفسه بما يعود عليه نفعه في الآخرة ، وذلك لأن النفس إذا رباها صاحبها على جعل ذلك هدفاً ، تترتب الأولويات لديها فتقدم الأنفع على النافع والنافع على ما ليس فيه نفع ، وحين تفعل النفس ذلك فإنها ستتعالى عن التعلق بمتع الحياة ؛ قال سليمان الداراني : لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله عن الآخرة [30] ، وقال مالك بن دينار : بقدر ما تخزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك [31] .

*التأمل في تبعات الترف في الآخرة ، وتخيل العبد وقوفه بين يدي الله (تعالى) ، والأسئلة التي ستوجه إليه في ذلك الموقف عن النعيم الذي يتقلب بين جنباته في هذه الدنيا دافع له إلى ترك الترف ، ولذا : ذكّر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته بذلك فقال : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه [32] ، ولقد كان هذا التأمل من أكبر الأسباب التي دفعت بعض السلف إلى التقلل من الدنيا وملذاتها ؛ قال طاووس : حلو الدنيا مر الآخرة ، ومر الدنيا حلو الآخرة [33] وكان الأسود يقول : من كانت الدنيا أكبر همه ، طال غداً في القيامة غمه [34] .

*النظر في حال أهـل الترف قديماً وحديثاً ، والتأمل في أوضاعهم وما يعانيه غالبهم من غفلة ، وقلة طاعة ، وقسوة قلب ، وكثرة هم ، وتشتت فكر ، بالإضافة إلى الفجيعة من تقلب الأحوال والخوف من انصرام ما هم عليه من نعيم وملذات : كفيل بردع العاقل عن التعلق بالملذات ، ولله در سفيان الثوري حين قال : إذا أردت

أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي [35] .

*إدراك المترف أن القليل من نعيم الدنيا يكفي لعبور هذه الدار والوصول إلى الآخرة ، وبالتالي : فإن عليه التخفيف من الانغماس في الملذات ، قال -صلى الله عليه وسلم- حين دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال : يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا ! ، فقال : مالي وللدنيا ، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها [36] ، وكان خالد بن صفوان يقول : بت أفكر فكسبت البحر الأخضر بالذهب الأحمر ، ثم نظرت فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وطمران [37] .

*معرفة مخططات ووسائل أعداء الإسلام في إلهاء الشعوب المسلمة لصدها عن دينها وسلب خيرات بلدانها ، فإن من أسباب لهو بعض المسلمين وتشاغلهم بالترف والشهوات - كما سبق - سعي أعدائهم من اليهود والنصارى وغيرهم إلى ذلك ، فمتى عرف المرء تلك المخططات واتضحت له وسائل تنفيذها ، تحاشى الوقوع في حبائلها .

*لابد للمترف من النظر في أحوال المسلمين والتأمل في شدة ما يعانون من فقر وجهل ومرض ، بالإضافة إلى ما يتعرضون له من حروب ، ليعرف شدة خطئه في ترفه ، وأن الأنفع له تقديم ما يفيض عن حاجته إلى إخوانه .

ج- وسائل يحسن للمربين الأخذ بها للتخفيف من الترف وآثاره :

عندما نتحدث عن ترف بعض الأشخاص المنتسبين إلى طريق الدعوة لابد لنا من التعريج على الدور الواجب القيام به من قبل المربين والمسؤولين عن المحاضن التربوية لكي يقوموا بدورهم في تجاوز هذه الظاهرة حتى لا تتراجع مسيرة الدعوة أو تستمر في مكانها التي هي فيه دون تقدم يذكر ، والوسائل التي يمكن أن يقوم بها المربون في علاج تلك الظاهرة كثيرة ؛ منها ما يلي :

*تربية من في تلك المحاضن على الاستقامة والجدية ، وتعويدهم على أخذالإسلام بقوة بحيث يبادرون إلى فعل محبوبات الله (تعالى) سواء أكانت واجبات أو مستحبات ، وإلى ترك مبغوضات الله (تعالى) سواء أكانت محرمات أو مكروهات . والاستقامة على الإسلام وأخذه بقوة لا يطيقه إلى من صلب عوده وقوي إيمانه ، لأنها تعني القيام بين يدي الله (تعالى) على حقيقة الصدق بحيث يترك الإنسان شهوات نفسه وملذاتها مع قدرته على إتيانها ، ويتحمل ما يلاقيه من جراء قيامه بمخالفة معهودات المجتمع وعاداته [38] .

*تصريف طاقات المتربين وتوجيههم إلى حسن إستثمار أوقاتهم ، لأن من أبرز دواعي الترف وأسبابه ارتفاع نسبة الفراغ في أوقات الشباب ، مع وجود طاقات كبيرة بحاجة إلى توجيه وإرشاد واع من قبل المربين لتصريفها تصريفاً حسناً ووضعها في المسار الصحيح ، ولقد جاء حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي رواه ابن عباس (رضي الله عنهما) : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ [39] مبيناً مدى تفريط كثير من الناس في طاقاتهم ، ومنبهاً أصحاب التربية والتوجيه إلى ضرورة ملاحظة تلك الظاهرة والسعي بجد لعلاجها .

*لابد للمربين أن يبينوا للذين يربونهم وبخاصة في المجتمعات المترفة منهج الإسلام في التعامل مع النعم ، والسعي بجد إلى ممارستهم ذلك المنهج في واقع حياتهم العملية مع متابعتهم - بأسلوب مناسب - أثناء التطبيق والممارسة من أجل رفع معنوياتهم ، وتشجيعهم حال الإصابة ، وتوجيههم إلى الحق حال مجانبته والوقوع في ضده .

*لابد للمربين من توجيه الشباب وتربيتهم على الجلد والخشونة وترك الدلال

والطراوة ، ومن الأمور التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك ما يلي :

-الحديث عن صفات الرجال المجاهدين في الأمة قديماً وحديثاً ، وبيان مدى تركهم للكثير من الأمور التي تؤدي بهم إلى الترف والرفاهية مع تمكنهم من إتيانها لكي يتخذ المربُّون أولئك الأفذاذ قدوة وأسوة .

-إرشادهم إلى ما كان عليه صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خدمة أنفسهم ؛ قالت عائشة (رضي الله عنها) : كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمال أنفسهم ، فكان يكون لهم أرواح ، فقيل لهم : لو اغتسلتم [40] ، وحثهم على القيام بخدمة أنفسهم قدر الإمكان والاستغناء عن العمال والخدم - في المنزل وخارجه - وجعل ذلك هو الأصل وخلافه هو الاستثناء .

-اختيار أنواع الرياضة التي تؤدي إلى قوة الجسم وتساعد على التحمل والخشونة كالجري والسباحة ، وأنواع الرياضات التي تساعد في الدفاع عن النفس ، مع ملاحظة وتجنب المحاذير الشرعية والتربوية .

-الإقلال من توفير وسائل الترف ، سواء أكان ذلك في المطاعم أو المشارب أو الملابس أو المساكن أو المراكب أو الألعاب ... إلخ .

-دفعهم إلى إتيان ما يستطيعون من نوافل العبادات وبالأخص العبادات البدنية كصيام التطوع والحج والعمرة وقيام الليل ... ونحو ذلك من العبادات التي يكون فيها نوع مشقة على البدن .

-لا بد للمربين من توجيه من تحت أيديهم إلى الاهتمام بمعالي الأشياء وترك سفاسفها ، والبحث عن حقائق الأمور وعدم الاقتصار على ظواهرها ، والقيام بتعريفهم بأن قيمة الإنسان بحسب ما يكون عليه من تقوى لله وعمل لدينه ونصرة لإخوانه ، لا بما هو عليه من زهرة الحياة الدنيا وزخرفها .

*لابد للمربين من تعويد من تحت أيديهم على الإيثار والكرم وحب البذل ودفعهم إلى المبادرة والتسابق في ذلك إيثاراً للباقية على الفانية ، قبل أن يفاجئ أحداً منهم الموت أو تتبدل به الأحوال ويحدث ما يمنعه من القيام بذلك .

*لابد للمربين أن يحملوا الذين يربونهم بعض المسؤوليات ، مع التشجيع حال الإصابة ، والإرشاد مع الرفق حال الخطأ .

*لابد للمربين من تشجيع من تحت أيديهم على الابتكار والسعي إلى اتخاذ القرار ، وحثهم على التفكير والقيام بالموازنة بين المصالح والمفاسد ، وممارسة النقد البناء ونبذ التقليد الأعمى للآخرين - من مربين وغيرهم - في الصغير والكبير .

*لابد للمربين من طرق أسماع الذين يربونهم بمعاناة أكثر المسلمين في هذا العصر مع تقديم ما يرسخ ذلك في نفوسهم من صور ووثائق ، ودفعهم إلى المقارنة بين حياتهم التي يعيشونها وبين الحياة التي يعيشها الآخرون من إخوانهم .

---

(1) الزهد للإمام أحمد ، 189 .
(2) ، (3) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ، 106 (4) السابق ، 112 .
(5) طبقات ابن سعد 3/92 .
(6) حلية الأولياء 1/321 .
(7) ذم المال لابن أبي الدنيا ، 77 .
(8) ، (9) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ، 100 .
(10) السابق ، 113 .
(11) كنز العمال 6/509 .
(12) سير أعلام النبلاء 1/81 .
(13) حلية الأولياء 1/89 .
(14) السابق ، 1/90 .
(15) البخاري مع الفتح 1/223 ، ح 89 .

(16) حلية الأولياء 1/123 .
(17) موعظة المؤمنين 1/125 .
(18) ، (19) موعظة المؤمنين 1/116 .
(20) أحمد 1/50 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/546 ، ح 2831 .
(21) أحمد 1/30 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/932 ، ح 5254 .
(22) موعظة المؤمنين 1/116 .
(23) حلية الأولياء 1/100 .
(24) السابق ، 1/145 .
(25) البخاري مع الفتح 6/366 ، ح 3244 .
(26) مدارج السالكين 2/28 .
(27) الفوائد لابن القيم ، 146 .
(28) السابق ، 147 .
(29) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ، 138-139 .
(30) السابق ، 129 .
(31) السابق ، 66 .
(32) الترمذي 4/612 ، ح 2417 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/221 ، ح 7300 .
(33) حلية الأولياء 4/12 .
(34) ذم الدنيا ، 132 .
(35) السابق ، 145 .
(36) أحمد 1/301 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/989 ، ح 5669 .
(37) ذم الدنيا ، 148 .
(38) انظر : منهج السنة النبوية في تربية الإنسان لبدير محمد بدير ، 106 .
(39) البخاري مع الفتح 11/233 ، ح 6412 .
(40) السابق 4/355 ، ح 2071 .

خواطر في الدعوة

ولكن حمزة لا بواكي له

محمد العبدة

إن الظلم الواقع على المسلمين في كثير من بقاع العالم لا نظير له ؛ فهذا المجتمع الدولي الظالم الكنود قد تحالف حلف الشيطان ضد كل حق وفضيلة ، وضد كل من يريد عبادة الله وحده ، وترك ما دونه من الأصنام ، ويريد هذا الحلف الشيطاني جرّ البشرية إلى مهاوٍ سحيقة من الضلال والفسق ، ومن يقول له : لا ، فهذه جريمة العصر .

إن ما يجري في البوسنة مثال صارخ على النفاق الدولي وتظاهره بالإنسانية، وهو يخفي مُرّ العذاب بسكوته عما يقع من جرائم بحق المسلمين ، وهذا واضح يعرفه كل إنسان ، بل ويتألم له أناس من غير المسلمين الذين عندهم بقية من ضمير أو حب للحق . ولكن الذي نريد الوصول إليه هو : أين علماء المسلمين ؟ ! وأين دورهم في التخفيف عن إخوانهم ؟ وأخص بالذكر العلماء الذين لهم مكانة متميزة ، لماذا لا يمارسون الضغوط على هذه الحكومات كي تقوم بعملٍ ما ؟ ! فالغرب لا يفهم إلا لغة القوة ، ولو كانت قوة معنوية ، ولكن عندما لا يرى شيئاً ولا يحس بأي معارضة لما يفعل ، فسوف لا يرى إلا مصالحه القريبة والبعيدة .

لقد تدخل بابا النصارى مباشرة وبقوة في مسألة كرواتيا وسلوفينيا ؛ يقول هنجتون صاحب مقال صراع الحضارات [1] : وكنتيجة لإصرار البابا على تأمين دعم قوي للبلدين الكاثوليكيين ، اعترف الفاتيكان بكل من سلوفينيا وكرواتيا حتى قبل المجموعة الأوروبية ، وحذت الولايات المتحدة حذو أوروبا ، وهكذا تجمع الممثلون الرئيسيون في الحضارة الغربية وراء إخوانهم في الدين .

هل بابا النصارى أحرص على رعاياه من حرص العلماء على إخوانهم في الدين ؟ ! أليس من العجيب أن هذه النصرانية التي تقول في كتبها المحرفة : دع ما

لقيصر لقيصر وما لله لله تتدخل في السياسة وتستجيب الدول لاقتراحات وضغوط البابا ، وديننا الذي يقول : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض .. ﴾ [الأنعام : 165] ، والذي يقول : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. ﴾ [آل عمران : 104] ، لا يتدخل علماؤه في شؤون إخوانهم ، ومن العجيب أيضاً أن النصرانية المحرفة تقول في كتبها : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر تجد رجالها من أشد الناس إيماناً بمبدأ القوة ، وأنه هو الذي يحل المشاكل العالمية ، وديننا الذي يقول : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [البقرة : 190] لا نجد من يدافع عنه ولا عن رعاياه ، أيكون عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مسؤولاً عن شاة إذا عثرت بشط الفرات ولا يكون العلماء مسؤولين عن دماء المسلمين ؟ ! لا شك أنهم مسؤولون ويستطيعون فعل شيء يخفف الآلام .

إن الواجب يدعو علماء المسلمين أن يجتمعوا على كلمة يستطيعون بها رفع الظلم عن إخوانهم في البوسنة أو الهند أو كشمير ، هل نأمل بأن يكون هناك دور للأزهر وأمثاله ؟ ! هذه القلاع التي كانت حصناً لردع أعداء الدين ، وهل نأمل بأن يأخذوا بنصيحة عمر حين قال : يعجبني الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول : (لا) بملء فيه .

---

(1) نشر هذا المقال في مجلة (Foreign Affairs) صيف 1992 ، وقد أحدث ضجة كبيرة ، وترجم إلى العربية عدة مرات .

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

هموم ثقافية

التنمية بين المشروع الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي

(1)

أ . د . نبيل السمالوطي [*]

المفاهيم :

يمكن النظر إلى نظريات التنمية ومداخلها سواء أكان ذلك في الفكر الوضعي أو الفكر الإسلامي على أنها اجتهادات يمكن الاتفاق أو الاختلاف حولها ، وهذه الاجتهادات تدور أساساً حول آليات وعمليات وأساليب ومضامين تغيير مخطط يستهدف تحسين مستويات الحياة ورفع مستويات معيشة الناس وتحقيق أهداف عليا وصورة معينة للمجتمع والعلاقات والتنظيمات والنظم الاجتماعية التي هي موضع اختلاف بين نماذج التنمية المختلفة ، وهي أشد اختلافاً بين المشروع الغربي باتجاهاته المختلفة من جهة ، وبين المشروع الإسلامي باجتهاداته المتباينة من جهة أخرى .

ويقصد هنا بالاجتهادات الوضعية : تلك التوجيهات والنظريات والمداخل والمناهج التي يطرحها بعض المنظرين لتحقيق التنمية الشاملة للمجتمعات اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً ... دون الاستناد إلى ثوابت عقدية أو أخلاقية أو قِيَميّة أو تشريعية ترجع لوحي من السماء ، وهي تحاول تحليل وتفسير ظواهر الفقر والغنى ، والتخلف والتقدم ، والضعف والقوة ، وتحديد منطلقات التنمية وآلياتها وضوابطها وأهدافها استناداً إلى متغيرات واجتهادات حسية أو عقلية أو اجتماعية أو تاريخية في حدود الخبرة البشرية وإمكانات العقل البشري ، وفي ضوء فلسفات التاريخ أو في ضوء نماذج وأهداف أيديولوجية بعيدة عن أي ثوابت أو مطلقات أو حقائق لا تتغير .

وفي المقابل : يقصد بالاجتهادات الدينية : تلك الآراء والنظريات والمداخل والمناهج التي تحاول فهم وتشخيص وتحليل متغيرات التخلف والتقدم والغنى والفقر والقوة والضعف في إطار المنطلقات والثوابت والأهداف والضوابط الدينية ، مع الأخذ بكل جوانب التحليل العلمي والمنهجي المادي والاجتماعي والتاريخي والاقتصادي والسياسي في إطار متغيرات التاريخ ومتغيرات العصر ، وفي ضوء المنطلقات الثابتة المتصلة بجوهر الإنسان والمجتمع ، ورسالة كل منهما ، والموقف من التاريخ والثقافة ، والموقف من عالمي الغيب والشهادة ، وفي إطار نظرة تكاملية للمعرفة من حيث مصادرها وطبيعتها وأنواعها ، ودور كل منها في مسيرة الإنسان والمجتمع ، وفي ظل رؤية شمولية للعوامل والأسباب والآليات المؤدية إلى التقدم والتنمية بكل أبعادها المادية والروحية والاجتماعية والسياسية ، البشرية والكونية ، وفي إطار فهم وتفسير محدد للإنسان والمجتمع والتاريخ والعلاقات الاجتماعية سواء أكان ذلك بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات أو الدول [1] .

والقول بوجود مشروعات أو نماذج من التنمية تستند إلى اجتهادات وضعية ، وأخرى تستند إلى اجتهادات دينية ، يعني : أن كلا النوعين من النماذج يتضمن إعمال العقل والتحليل العلمي والاستعانة بمصادر متعددة للمعرفة ، ويعني : إمكانية التعدد والاختلاف في مجال الاجتهاد القائم على منهجية التفسير والتحليل وبناء الخطط استناداً إلى قواعد معلوماتية وفكرية ومنطقية ، وإذا كانت الاجتهادات الوضعية تستند إلى قدرات البشر وتستبعد الثوابت الدينية ، فإن الاجتهادات الدينية تستند إلى الثوابت الدينية سواء أكانت منطلقات أو آليات أو أهدافاً ، ولكنها تؤكد

على أهـمية الجهد الإنساني في الاستنباط والفهم والتحليل والوصول إلى النتائج والأحكام ، وينطبق هذا الأمر على علوم الدين والدنيا معاً التي ينظر إليها الإسلام بوصفها علوماً إسلامية ، فالعلوم التجريبية التي وجدت قبل الإسلام اختفت من حياة الإنسان تحت وطأة عدة قوى ، من بينها سياسات حكام الإمبراطورية الرومانية التي ركزت على الحياة العسكرية والتنظيمات القانونية ولم تهتم بالعلم التجريبي ، ومن بينها السياسات الكنسية في أوروبا التي أكدت على استبعاد أي اجتهاد إلى جوار كتابهم المقدس .

فضل المسلمين على الحضارة :

وكما يذكر ابن نباتة فقد تم وضع الكتب في الدهاليز ليأكلها الزمان ، وعندما أتى الإسلام ، أنشأ المسلمون أول جامعة وهي بيت الحكمة ، وتم إخراج الكتب من الدهاليز ، وقام المسلمون بترجمتها إلى العربية واستكمال ما نقص أو ضاع منها ، والتعليق عليها وشرحها ، وتدريس الصالح منها ، وتأليف العديد من الكتب ، والوصول إلى العديد من الاختراعات العلمية ، وتقنين خطوات المنهج التجريبي بشكل واضح [2] .

هذا بالطبع إلى جانب الوصول إلى علوم جديدة سواء أكان ذلك في مجالات السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو التربية تستند إلى مبادئ الكتاب والسنة ، أو في مجال التجريب في بعض فروع العلم كالكيمياء والطب والرياضيات .. إلخ ، وقد نظر المسلمون إلى كل هذه العلوم على أنها علوم إسلامية ، وقد أدى المسلمون خدمة مهمة للعلم ، وذلك بنقله من المحلية إلى العالمية ، وقاموا بتطوير العلوم وتحديد معالم المناهج ، كذلك قاموا بمحاولة تقديم العلم المفصل للمتخصصين وتبسيط العلوم للجمهور ، وهذا العلم الذي نشأ وتطور وتقدم في ظل الحضارة الإسلامية وصل إلى الغرب من خلال مراكز إشعاع ثقافي ، مثل الأندلس وصقلية والشام وغيرها .

وترتبط حضارة الإسلام بالعلم ارتباطاً وثيقاً ؛ لأن طلب العلم جزء لا يتجزأ من العبادة ، وطلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وكانت أول كلمة في القرآن الكريم هي اقرأ ، وهنا يحق لنا القول : إن العلم النافع بكل فروعه يحتل موقعاً رئيساً في الحضارة الإسلامية ، وإذا كان الغرب ومشروعه الحضاري يركز الآن على العلوم التجريبية التي أقامها على مرتكزات من العلم الإسلامي فالفارق كبير بين موقع العلم في المشروع الحضاري الإسلامي وموقعة في المشروع الحضاري الغربي ؛ فرق في المنطلقات والغايات ، وفرق في الضوابط والآليات ، وفرق في التوجيه والتطبيق ؛ فالمنطلقات عند المسلمين عبادية ؛ أي : تنفيذ إرادة الله وأوامره في النظر في الكون والآفاق ، وفي الأنفس ، وفي التاريخ والمجتمع وهي كلها مخلوقات لله من أجل الوصول إلى السنن أو القوانين التي تحكم هذه المخلوقات ، وهذا يفيد من جهتين : الأولى : تعميق الطاقة الإيمانية عند الإنسان ، فالتعمق في العلم يؤدي إلى مزيد من الخشية لله إنما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر : 28) . الثانية : الانتفاع بهذه المعرفة في التطبيقات العلمية (التقنية أو الصناعية) الأمر الذي يؤدي إلى أن يكون المجتمع المسلم هو الأقوى اقتصادياً واجتماعياً وتعليمياً وصحياً وسياسياً وعسكرياً ... وهو شرط رئيس للقيام برسالة الإنسان والمجتمع المسلم في إعلاء كلمة الله والدعوة إليه وتأمين سبل الدعوة الإسلامية ومحاربة طواغيت الأرض وإقامة العدل والقضاء على الظلم ، والنصوص كثيرة من الكتاب والسنة في هذا المعنى ؛ منها قوله (تعالى) : قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون [الزمر : 9] وقد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- فضل العالم على العابد ، وأوضح أن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يفعل .

وهذا هو ما أدى إلى ازدهار الحضارة الإسلامية وإلى إبداعات العقل المسلم في كل مجالات العلوم الشرعية والكونية والاجتماعية والأدبية والإنسانية ، وهذا هو ماحدا بملوك أوروبا في عصر النهضة إلى إرسال مجموعات للحصول على الكتب الإسلامية لترجمتها إلى اللغات الأوروبية ، ليس فقط في مجالات العلم الطبيعي والاجتماعي ولكن أيضاً في مجالات العلوم الشرعية كذلك ، وكانت هذه هي نقطة انطلاق الحضارة الغربية في مجال العلم التجريبي بشقيه النظري والتطبيقي ، وهو العامل الرئيس في التقدم العلمي والاقتصادي والتقني الحالي في الغرب .

وإذا كانت النماذج الدينية والوضعية في التنمية تنطلق من مشروعات حضارية متباينة أو متصادمة من حيث المنطلقات والغايات ، فإنه يتعين علينا أن نتفق على مفهوم الحضارة ، فالحضارة بوصفها خلاصة الخبرة والتراكم المعرفي والتربوي والإبداع البشري والضوابط الإصلاحية لها جانبان :

أولاً : الجانب المعنوي : يتمثل في المعتقدات والقيم والأخلاقيات والضوابط الدينية والمبادئ والأطر الفكرية والرؤية العامة للكون والحياة والإنسان والتاريخ والعلاقات بين البشر ، أفراداً وجماعات ودولاً .

ثانياً : الجانب المادي : المتمثل في المستوى العلمي التجريبي ومستوى التقنية والمستويات الاقتصادية المادية لأبناء المجتمع .

والحضارة هي محصلة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة ، وهي محصلة التفاعل بين الدوافع والرغبات والتطلعات والأعمال والشهوات الإنسانية من جهة ، وبين الضوابط والمعايير التي تحكم حركة الإنسان في إشباع هذه الشهوات ، وتوجيه الدوافع ، وأساليب توظيف نتاج هذه الدوافع والشهوات والأعمال الإنسانية من جهة أخرى ، وهي محصلة التفاعل بين الغايات النهائية والإمكانات والإبداعات والجهود الإنسانية للوصول إليها ، فالحضارة إذن هي تفاعل بين عاملين : الأول يتصل بالقيم والمبادئ والموجهات العقدية المنهج والنماذج السلوكية والفكرية التي تحدد ما هو مرغوب فيه وما هو متسامح فيه وما هو مرغوب عنه ، وبين الواقع المادي بمغرياته المادية وما فيه من أدوات وأجهزة هي وسائل إشباع الحاجات الإنسانية المتزايدة والمتغيرة [3] .

إشكاليات النموذج الغربي في الحضارة :

والحضارة في المشروع الغربي هي حضارة ترتكز في منطلقاتها وآلياتها وأهدافها على الجانب المادي في الحياة ، وحتى بالنسبة للمبادئ العليا والقيم في الغرب فهي موظفة لخدمة الأهداف المادية ، فإذا كان المشروع الحضاري الغربي يعلي من قيم وممارسات : الديموقراطية ، والحرية ، وحقوق الإنسان ، وإعلاء قيمة العقل والتفكير العقلي ، والاحتكام للمنطق والسيطرة على الطبيعة وإخضاعها لخدمة الإنسان .. إلخ ، فإن هذه المبادئ المتفق على أهميتها وضرورتها ليست مسخرة لحماية الإنسان بذاته ، وإنما لحماية المصالح والصفوات الغربية مقابل الجماهير ، وحماية المجتمعات الغربية مقابل المجتمعات الأخرى ، وهذه القيم التي يرفع المشروع الغربي شعارها ويجعل منها سيفاً مسلطاً على العالم الثالث ، يؤكد أغلب الباحثين في العلوم الاجتماعية في الغرب وبعض مفكري العالم الثالث أن هذا المشروع الغربي يمثل بها قمة صور وحالات التنمية التي يجب على كل دول العالم الثالث السعي لتحقيقها ، هذه القيم والمبادئ هي مثاليات غير متحققة حتى في الغرب نفسه ؛ فالحكم في الولايات المتحدة ليس ديموقراطياً وإنما هو حكم صفوة القوة على حد تعبير س . ر . ملز C . R . MILLS في كتابه بعنوان صفوة القوة The Power Elite [4] ، وحقوق الإنسان غير مطبقة فعلياً في أمريكا بدليل استمرار التمييز العنصري والصراعات العرقية في أوروبا وأمريكا ، وزعماء الغرب

يؤكدون أن إعلان حقوق الإنسان لم يوضع لسكان إفريقيا السوداء ، وهذا ما أعلنه أحد رؤساء الحكومة الفرنسية وهو جون فيري [5]، وموقف الغرب من مسلمي البوسنة والهرسك يعكس حقيقة فهم حقوق الإنسان في الغرب ، ونفس الأمر تعكسه ثورات وتمرد العرقيات المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية ؛ ومن بينها ما حدث منذ سنتين تقريباً في لوس انجلوس ، ونفس الأمر أيضاً يعكسه موقف ومؤامرات الغرب ضد حركات التحرر في العالم الثالث ، سواء أكانت اقتصادية أو سياسية ، ويتضح من موقف الغرب من الإسلام والمسلمين ويتضح هذا في العديد من المشروعات الفكرية العلمية مثل مشروع كاميلوت ، كما يتضح من موقف الغرب من تجارب الديموقراطية في دول العالم الثالث مثل تجربة الجزائر ، كما يتضح من موقف الأوروبيين حالياً من المستوطنين العرب والمسلمين في دول أوروبا مثل فرنسا وألمانيا .. إلخ ، وهو موقف يعكس العداء وعدم الإنسانية .

هذه الإشكاليات في المشروع الحضاري الغربي ، هي إشكاليات موضوعية يثيرها كتاب ومفكرو الغرب أنفسهم الذين يرون أن المشروع الحضاري يعلي من قيمة الاستمتاع المادي والرفاهية في مقابل القيم الأخلاقية ، وهذه الحقيقة أدت في التطبيق إلى العديد من الإشكاليات التي تبرزها بشكل موضوعي الإحصاءات الغربية التي أوردها فهمي هويدي في مقال له بالأهرام بتاريخ الرابع من أكتوبر سنة 1994م من واقع المصادر الرسمية في الغرب التي توضح أن 40% من الأطفال غير شرعيين (في الولايات المتحدة) و60% من الأزواج لا يعيشون مع زوجاتهم ، وأن عشرة آلاف أنثى دون الثامنة عشر تم اغتصابهن سنة 1992م في مدينة واشنطن وحدها ، منهم 3800 دون الثانية عشر ، وأن 20% من هؤلاء الأخيرات تم اغتصابهن عن طريق آبائهن ، و26% عن طريق الأقارب ، وأنه قد تم رصد 30 مليار دولار في الولايات المتحدة الأمريكية لمكافحة الجريمة ، ويجند لهذا العمل 100٫000 رجل شرطة [6] .

أهم جوانب الاختلاف بين المشروع الحضاري الإسلامي والمشروع الغربي :

أما عن المشروع الحضاري الإسلامي فهو مشروع متوازن يعكس فطرة وحاجات الإنسان ، ويحقق أقصى درجات التوازن المادي والروحي ، وأقصى درجات التقدم في كل المجالات الروحية الدينية والاقتصادية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، وهذا المشروع يحقق صالح الإنسان الحقيقي في الدنيا والآخرة ، وبهذا تتكامل المادية والروحية ، وتتكامل الجوانب المعرفية الحسية والعقلية مع حقائق الوحي ، ويتكامل الإنسان مع الكون الذي يعيش فيه والذي سُخر من قِبَل الخالق لخدمته ، ويتكامل الإنسان مع مجتمعه وأمته ، ويتكامل عالم الغيب مع عالم الشهادة ، وتتكامل الدوافع مع الضوابط ، وتتكامل الدنيا مع الآخرة .

ولا يمكن الاكتفاء بالقول : إن المشروع الحضاري الغربي ينطلق من المادية والعلمانية المسرفة ، وإن المشروع الإسلامي ينطلق من الإيمان بالغيب ويحقق التكامل بين المادة والروح ، لأن المنطلقات والأهداف والآليات والنتائج متصارعة ومتناقضة ، وسوف يكتفى هنا بإبراز بعض الأمثلة لتوضيح هذا الأمر :

أولاً : الموقف من الكون أو ما يسمى بالطبيعة ومن الحياة والوجود : هو في الغرب علاقة صراع دامٍ ، يعكس هذا مصطلحات : غزو الصحراء ، قهر الطبيعة ، إخضاع الظواهر لسيطرة الإنسان ... وهم يصورون العلاقة على أن الحياة الطبيعية معاكسة للإنسان ، مقلقة له ، ولابد من صرعها والتغلب عليها . [7] يقابل هذه النظرية في المشروع الحضاري الإسلامي نظرة مناقضة تماماً ، فكل ما في الكون مسخر للإنسان ، بل إن الكون في جانبه المتصل بالبشر مخلوق لخدمة الإنسان ،

ومناسب لقدراته على المعرفة والتعامل والتسخير ، قال (تعالى) : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً [البقرة : 29] وكما يقول صاحب الظلال [8] : فإن كلمة لكم تدل دلالة قاطعة أن الله خلق الإنسان لأمر عظيم ... ليكون مستخلفاً في الأرض ، مالكاً لما فيها ، فاعلاً مؤثراً فيها .

وإذا كان المشروع الحضاري الغربي يؤكد العداء بين الإنسان والبيئة المادية (الجغرافية) المحيطة به ، فإن الإسلام يؤكد أن هذه البيئة مسخرة بأمر خالقها للإنسان ، والآيات التي تتحدث عن هذا كثيرة وقاطعة ؛ منها قوله (تعالى) : الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه ... الآية (إبراهيم : 32-34) وقد جاء هذا الكون موافقاً تماماً لقدرات الإنسان على الفهم والتفسير والاستيعاب ، وقدرات الإنسان على العمل والاستثمار والإنتاج ، وقدرات وحاجات الإنسان البيولوجية كالماء والهواء ، والنسب المعجزة للأكسوجين ، وما تنبته الأرض من غذاء أو كساء ... إلخ ، كل هذا يؤكد الوحدة والتناسق في النواميس أو القوانين أو السنن التي تحكم الأرض والكون والإنسان حتى لا يقع التصادم والصراع والعدوان ، على العكس تماماً من مُسَلمات المشروع الحضاري الغربي ..

ثانياً : ما يبرز فيه الصراع والتناقض بين المشروعين الحضاريين الغربي والإسلامي ، يتمثل في النظر إلى الإنسان ؛ فالإنسان في المشروع الغربي حيوان ناطق ، يسعى باستمرار نحو إشباع شهواته خاصة شهوات المال والجنس والأكل والمركز والتفوق بأقصى قدر ممكن وبأقل خسارة ممكنة ، فهو يحاول الوصول إلى أقصى قدر من اللذة والرفاهية بأقل مجهود ممكن [9] ، وهذا هو التيار النفعي (البراجماتي) والرأسمالي المسيطر على الفلسفة الغربية ، فالإنسان في المشروع الغربي : كائن يهدف إلى المنفعة والمتعة في إطار المشروع الفردي والحرية والمسؤولية الفردية ، وهو ليس إلا رقماً في معادلة حياتية يمكن فهمها وتحليلها بالحاسب الآلي ، أما الإنسان في المشروع الحضاري الإسلامي فهو مخلوق خلقه الله واستخلفه في الأرض لأداء رسالة حضارية محددة هي العبادة بمفهومها الواسع الذي يشمل كل ما قصد به تنفيذ أوامر الله وتجنب نواهيه ، وهذه تشمل : العبادات ، والتعلم ، والإنتاج العلمي ، وفهم السنن الحاكمة للإنسان والكون والمجتمع والتاريخ [10] ، وتشمل : تعمير الأرض والإنتاج العملي وبناء المجتمع الأقوى إيمانياً واقتصادياً وتقنياً واجتماعياً وسياسياً ؛ المجتمع القادر على : إقامة العدل والحق ، وعلى تحرير الإنسان ، والقضاء على الظلم ، والدعوة إلى الإسلام ، وتأمين سبل الدعوة إلى الله ، وبناء القوة المرهبة لأعداء الإسلام .

والإنسان في المشروع الإسلامي كائن مزدوج الهوية ؛ فهو مكون من جانب ترابي هو مصدر الشهوات ، وجانب روحي هو مصدر السمو والقيم ومصدر ترشيد إشباع هذه الشهوات بالشكل الذي يحقق الاعتدال وفق المنهج الإلهي ، وهذا لا ينفي حق الإنسان في الاستمتاع بالطيبات من الرزق ، قال (تعالى) : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق [الأعراف : 32] وقال (تعالى) : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَمة والأنعام والحرث .. الآية [آل عمران : 14] .

ثالثاً : من جوانب الصراع بين المشروع الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي : مصادر المعرفة [11] ، ومصادر التوجيه والضبط بالنسبة لحركة الإنسان في الفكر والعمل ، وحركة المجتمعات في التنظيم والتخطيط وتحديد

الأهداف وتحديد الأولويات ؛ فالمشروع الغربي بحكم ماديته وعلمانيته ينكر الوحي وينكر كل ما يتصل بالغيب ، ويثق ثقة مطلقة بالعقل الإنساني وقدراته الخارقة على النفاذ إلى أدق أسرار الإنسان والكون والحياة ، فهو قادر على تنظيم سلوكياته وعلاقاته وتنظيماته ومجتمعه وعالمه دون حاجة إلى توجيهات سماوية أو غيبية ، واستناداً إلى هذا : انطلق يشرع ويصوغ القوانين في كل جوانب الحياة .

وفي المقابل : نجد المشروع الحضاري الإسلامي يؤكد على أهمية أحادية الوحي مصدراً للمعلومات الصادقة ، ومصدراً للتشريع الحكيم ، ومصدراً للضبط والتوجيه ، في كل مجالات السلوك والعلاقات والنشاط البشري ، مع فتح المجال واسعاً للاجتهاد في مجال المتغيرات والمستجدات في إطار الثوابت الإيمانية والمعيارية الحاكمة ، والمشروع الإسلامي يؤكد على أهمية المصادر الحسية والعقلية للمعرفة بوصفها مصادر بشرية ركز الوحي على أهميتها ووجه إلى ضرورة استخدامها للوصول إلى السنن الحاكمة للكون والمجتمع والإنسان والتاريخ ، للانتفاع بها عملياً ، إلى جانب زيادة الطاقة الإيمانية عند المؤمنين ، والمشروع الإسلامي يؤكد عدم قدرة الإنسان على التشريع لما يحقق له النفع الحقيقي لا النفع الوهمي ، النفع في الدنيا والآخرة لا النفع الدنيوي فقط ، النفع لكل الناس لا النفع لجماعة أو صفوة أو فئة أو مجتمع دون آخر .

فالإنسان في المشروع الإسلامي مخلوق خلقه الله بقدرات محددة لايتعداها ، وهو يسعى بحكم تكوينه الترابي وبحكم وسوسة الشيطان له نحو إشباع شهواته إلى غير حد ، وكل إنسان مهما زادت ثقافته وقدراته لا يستطيع التخلص من تجربته الزمانية والمكانية ، ولا أن يتخلص من المؤثرات التربوية والاقتصادية التي أثرت على تنشئته الاجتماعية ، كذلك لا يستطيع التخلص من القوى التنظيمية والسياسية والمجتمعية التي عاصرها ، ولا يستطيع التخلي عن المشكلات الاجتماعية والعاطفية والجسمية التي يعاني منها ، ولا يستطيع تحقيق الحيدة والنزاهة الكاملة أو الموضوعية عند مناقشة أمور تتصل بالحاجات الإنسانية أو السلوكيات أو العلاقات الاجتماعية .. ، ولا يستطيع الإحاطة بكل جوانب الموضوع المدروس ، لكل هذه الأسباب وغيرها فإن الإنسان في حاجة مستمرة إلى الهدي الإلهي وإلى المنهج الرباني ، ينظم له حياته وعلاقاته [12] ويحدد له الأولويات والأهداف والآليات التي تحقق صالحه الحقيقي .. هذا المنهج بضوابطه وأحكامه وتوجيهاته لا يصادر المصادر البشرية للمعرفة وهي الحس والعقل ، ولا يصادر الجهد والبحث الإنساني عن الحقيقة ولا يمثل عائقاً أمام انطلاق الإنسان ورفاهيته ، وعلى العكس من هذا ؛ فإن هذا المنهج يؤكد الفعالية الإنسانية ويستثيرها في إطار السلامة والاعتدال ، وحماية الإنسان من الانحراف والطغيان والفساد ، ومن العبودية لغير الله . [13]

وهذا المنهج يحقق أقصى درجات العزة والكرامة للإنسان .. دون هذا المنهج تسود الأنانية والصراع والتناقضات الطبقية والعرقية والدولية ، وتسود الشهوات وتقنن الانحرافات ، ويسود الانحراف والشذوذ باسم حرية التعاملات المالية ، أو حرية استخدام الجسد ، أو حرية العلاقات بين الجنسين أو بين أبناء الجنس الواحد ، أو حرية الإجهاض ، وبعيداً عن المنهج الإلهي تختفي العفة وتختفي رقابة الآباء على الأبناء ، ويندفع الناس تحركهم الشهوات المادية وحدها ، وتعد الضوابط الأخلاقية نوعاً من التخلف الفكري المرفوض .

إن الوحي وهو المصدر الرئيس في المشروع الإسلامي يؤكد على وجود عالمين ؛ عالم الشهادة وعالم الغيب ، وأن الحياة الدنيا ليست إلا مرحلة يعبرها الإنسان إلى الآخرة ، وأن الحياة الدنيا هي فترة الاختبار والابتلاء ، والنتيجة قد تكون في الدنيا ، ولكنها يقيناً يحصلها الإنسان في الآخرة ، وفي ضوء هذا التصور

يصبح الإنسان مستعداً للتضحية بجهده وماله بل وحياته في سبيل حياة أخرى ، وبهذا الفهم يصبح الإنسان قادراً على ممارسة الكر والفر في حياته الدنيا وفق المنهج الإلهي ، وهذا ما يحقق المرونة والفعالية في الحياة الإنسانية ، فهذا المشروع يحدد للإنسان متى ولماذا يضحي ، ومتى ولماذا يتوقف عن التضحية بالجهد والوقت والمال والنفس .

والمشروع الحضاري الإسلامي يحقق نوعاً من أسمى أشكال التعادلية في حياة وفعاليات الإنسان ، فالعديد من آيات القرآن الكريم تحقر من شأن الدنيا وتزهد الناس فيها ؛ منها قوله (تعالى) : ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو .. الآية ﴾ [محمد : 86] وقوله (تعالى) : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [آل عمران : 185] وهذا حتى لا يركن الإنسان لشهواته ونزواته وينزلق نحو الانحراف والفساد ، وهناك العديد من الآيات الكريمات تؤكد على أهمية الاستخلاف والعمل والعلم والتعليم وبذل الجهد والإنتاج وتعمير الأرض حتى قيام الساعة ؛ منها قوله (تعالى) : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ... الآية ﴾ [تبارك : 15] وقوله (تعالى) : ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ (هود : 61) كل هذا من أجل استمرار حركة الحياة وتحقيق مصالح الناس وإنفاذ مشيئة الله وإنفاذ واجبات الاستخلاف في الأرض .

(*) الكاتب أستاذ متخصص في علم الاجتماع مارس التدريس في جامعات مصر والسعودية ، وله العديد من الدراسات المتخصصة ، مثل (الدين والتنمية في علم الاجتماع) و (قضايا التنمية والتحديث في علم الاجتماع المعاصر) و (علم اجتماع التنمية) وغيرها ونحن نرحب به على صفحات البيان ونأمل تواصله في مقالات وأبحاث أخرى قادمة -البيان- .

(1) نبيل السمالوطي : الدين والتنمية في علم الاجتماع .

(2) علي سامي النشار : مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، وارجع إلى دراسته بعنوان تاريخ التفكير الفلسفي في الإسلام .

(3) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية 1980 ص7 .

(4) ارجع في هذا إلى : محمد سعيد رمضان البوطي : منهج الحضارة الإنسانية في القرآن .

(5) ارجع إلى دراسة تشارلس رايت ملز بعنوان صفوة القوة ودراسته بعنوان الخيال السوسيولوجي Sociological Immagination وارجع إلى الدراسات المذكورة في الكتاب الذي حرره وينر M Winer وهنتنجتون Huntington بعنوان تفهم التنمية السياسية Understanding Political development الصادر سنة 1987 عن دار نشر Little Brown وارجع أيضاً إلى دراسة جندزير L Gendzier بعنوان التغير السياسي : العلماء والعالم الثالث Scientists and the Third World الصادر سنة 1985 عن دار نشر Boulder Co .

(6) ارجع إلى دراسة فهمي هويدي بعنوان (فقراء لا متخلفون) منشورة بجريدة الأهرام القاهرية بتاريخ 4/10/1994م ص9 .

(7) نبيل السمالوطي : المصدر السابق .

(8) سيد قطب : في ظلال القرآن طبعة دار الشروق بالقاهرة ، المجلد الأول ص53 (9) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، ص5 - 15 .

(10) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص85 وما بعدها .

(11) راجع عبد الرحمن الزنيدي : مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي : دراسة نقدية في ضوء الإسلام ، وراجع عبد الحميد الكردي : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة .

(12) يوسف القرضاوي : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، ص9-41 ، وارجع إلى : منير شفيق : الإسلام في معركة الحضارة .

(13) عبد الفتاح عاشور : منهج الإسلام في تربية المجتمع .

مقال

دراسة المستقبل
- مدخل تأصيلي -

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

مدخل :

علم الإدارة من العلوم القديمة قدم الإنسان ، أخذ أشكالاً وأنماطاً متعددة تختلف باختلاف العصور والأنشطة ، وهو حصيلة تجارب وخبرات متنامية للاستفادة من الطاقات والموارد المتاحة البشرية منها على وجه الخصوص للوصول إلى أهـداف محددة بأسرع وقت ممكن ، وأقل جهد مبذول ، وأقل تكلفة ممكنة .

فعلم الإدارة وسيلة من وسائل ضبط العمل وإتقانه وتوجيهه الوجهة الصحيحة، ولهذا قال الكاتب فورست في تعريف الإدارة : إنها فن توجيه النشاط الإنساني .

ويعتمد الفكر الإداري لبناء أي عمل من أي نوع كان على العناصر التالية :

1- التخطيط . 2- التنظيم . 3- التوجيه . 4- الرقابة (المتابعة) .

فالتخطيط أحد العناصر المهمة لإنجاح أي عمل بشري ، وهو يعني : التصور المستقبلي المبني على الدراسة والتحليل للوقائع والإحصائيات الثابتة للعمليات المستقبلية ، ويكون عادة قبل التنفيذ [1] .

*** ويشمل التخطيط ما يلي :**

1- رسم الأهداف العامة والخاصة . 2- دراسة المستقبل (التوقع) .
3- رسم السياسات واللوائح . 4- تحديد الجداول الزمنية للتنفيذ.
5- دراسة الموازنات المالية المتوقعة .

فالتخطيط إذن وسيلة من وسائل بناء العمل على الدراسات والأبحاث العلمية ، وليس على أساس العواطف والرغبات الشخصية ، وبه يعرف الإنسان إلى أين هو ذاهب .. وما الطرق التي سوف يسلكها .. والوسائل التي سوف يستخدمها .. !

وبهذا يتبيّن أنّ دراسة المستقبل أحد العناصر الرئيسة لنجاح التخطيط ، حتى إن الكاتب فايول اختزل علم الإدارة كله في هذا العنصر تأكيداً لأهميته وحيويته ، فقال في تعريف علم الإدارة : بأنّه النظر إلى المستقبل .

وفي هذه المقالة لن أتحدث عن عناصر الفكر الإداري ، أو عناصر التخطيط، وإنّما سوف أخصصها لدراسة المستقبل وتوظيفه في العمل الإسلامي .

(1)

إن الدعوة الإسلامية من أجلّ وأشرف الأعمال التي تقوم بها الأمّة ، وهي من أولاها بالتخطيط والدراسة ، وما لم تبن بناءً علمياً صحيحاً ، وترسم لها الخطط العلمية والعملية فإنّها سوف تبقى ذات أثر محدود الفاعلية زماناً ومكاناً ، ولا يكفي أن يكون العمل ناجحاً في مرحلة ما من المراحل ، ولكن من المهم أن نحافظ على ذلك النجاح وننميه بصورة مطردة .

لقد ولدت الصحوة الإسلامية المعاصرة في وسطٍ مُسْتَلَبٍ حضارياً وفكرياً ، ومتخلف إدارياً وسياسياً واقتصادياً ، ورجال الصحوة جزء من هذه الأمة ، ولهذا امتدت إلى بعضهم العدوى لتصيب برامجهم التي تبنى على العفوية والارتجال والاجتهادات الفردية المتخبطة ، وتتأثر بردود الأفعال الآنيّة ، وتنطلق من أطروحات وعظية وتعميمات مبنية على فراغ علمي ، والنتيجة المتوقعة إزاء ذلك : ظهور بعض الإنجازات الغثائية الهشة التي لا تقوى على الثبات أمام الأعاصير الفكرية والسياسية .

إنّ الدارس لسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- يجد أنّ خطواته المباركة في كلّ مرحلة من المراحل الدعوية تسير وفق خطة محكمة مستبصرة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : 108] .

ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينظر إلى المستقبل دائماً حتى في أحلك المواقف وأحرجها ، فها هو ذا يقول لخباب بن الأرت لما شكى له الشدة التي أصابت الصحابة في العهد المكي : ... والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون [2] .

ويقول لسراقة بن مالك (رضي الله عنه) وهو يطارده يوم الهجرة : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ ! [3] .

ويقول وهو يحفر الخندق ، عندما اجتمعت عليه الأحزاب : أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة .. أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض .. أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة [4] .

والعجيب أن بعض الناس يبحث هذه النصوص ونحوها من زاوية واحدة فقط، وهي : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى ، وأن هذا من الغيب الذي أظهره الله عليه تأكيداً لنبوته ورسالته ، وواجبنا التسليم والتصديق ، وهذا حق بلا ريب ، ولكن لهذه النصوص زوايا وأبعاد كثيرة ، من أجلّها : أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وضع بين عينيه أهدافاً جليلة بعيدة المدى ، ثم استحث النفوس الحية والهمم العالية للوصول إليها ، دون أن تصاب بالإحباط أو اليأس لعارض طارئ من العوارض القريبة ، فهي دعوة لتوسيع الأفق وتعميق النظر والانطلاق إلى تلك الرحاب الواسعة لاستشراف آفاق المستقبل غير المنظور، ومن ثم : السعي الحثيث لاستثمار الحاضر بكل إمكاناته لبناء المستقبل وترسيخه وإزالة عوائقه ومشكلاته .

إنّ سعة الأفق والنظر إلى المستقبل تجعل الإنسان يدرك تماماً : ماذا .. ومتى .. وكيف يعمل ، فهو يتحرك برؤية واضحة وخطى مرسومة ، وها هو ذا يوسف (عليه الصلاة والسلام) يرسم خطته الاقتصادية بالاستفادة من سنوات الرخاء المشهودة ، لمواجهة سنوات الشدة المتوقعة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً ممَّا تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدَّمتم لهنَّ إلا قليلاً مما تحصنون ﴾ [يوسف : 47-48] .

وإن شعار (المستقبل لهذا الدين) شعار صحيح بلا شك ، دلت عليه الدلائل الشرعية المتواترة ، ولكنّه ليس شعاراً وعظياً ، تحشد له القصص وتستثار له النفوس فحسب ، بل لابد من معرفة شروط التمكين وموانعه ، والعمل على إعداد الأمة وبنائها ، ورسم الخطط المستقبلية الكفيلة بتيسير سبيل ذلك وإنجازه ، فنصر الله (عز وجل) لا يتنزّل على العجزة القاعدين ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : 11] ، قال ابن الجوزي : إن الله لا يُغير ما بقوم من الكروب ، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الذنوب ، فلا يكون التغيير إلا بعد التغيير ، فبظلمنا وذنوبنا صبّت علينا المظالم ، وهكذا ينتقم الله من الظالم بظالم [5] .

إن استشراف المستقبل ليس رجماً بالغيب ، أو تعلقاً بالظنون والتخرصات ، أو اشتغالاً بالخيالات المجردة الهلامية ، وإنما هو توظيف لمعطيات الماضي (المدروس) والحاضر (الملموس) ومسبباتها ، لتوقع نتائجها ولوازمها ، ومن ثم : رسم خطط العمل وتنظيمها بناءً على ذلك .

(2)

إذا أردنا للدعوة الإسلامية أن تنهض من كبوتها ، وتقدم برامج أكثر فاعلية

ونماءً وتأثيراً في الأمة ، فلابد من وجود مراكز بحثية جادة يستقطب لها أهل العلم والبصيرة والخبرة ، ليتم من خلالها : دراسة المستقبل وتغيراته المتوقعة ، ورسم الخطط وتنظيمها .

وتتم دراسة المستقبل بالمواءمة بين العناصر التالية :

1- دراسة النواميس والسنن الكونية ، فسنن الله (تعالى) ثابتة لا تتحول ولا تتبدل ؛ قال (تعالى) : ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ [فاطر : 43] ؛ ولهذا أمر الله (تعالى) بدراستها والاعتبار بها : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [آل عمران : 137] .

2- دراسة تاريخ الأمم وتجارب الشعوب والدول في قديم الدهر وحديثه ؛ ففيها عبرة وعظة لكلّ معتبر ، ولهذا قصّ الله (تعالى) لنا قصص الأمم الغابرة ، وقال : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [يوسف : 111] .

3- دراسة وتقويم تجارب الحركات الإسلامية المعاصرة بكلّ تجرّد بعيداً عن التعصب لها أو ضدها ، والحذر من عقدة التفرد والتميز التي قد تصاب بها بعض تلك الحركات التي تؤدي في الغالب إلى الدوران حول الذات واعتقاد الكمال (الزائف !) ، وتقزيم الحركات الأخرى ، ومن ثم : إهمال تاريخها وتجاربها ، مع أنّ الحكمة تقتضي دراسة حتى الحركات التي نرى أنّها هزيلة وذات تجارب ضعيفة، لكي لا نقع فيما وقعت فيه ، والسعيد من وعظ بغيره .

4- دراسة الإمكانات والقدرات المتاحة الموظفة والمستثمرة حالياً ، أو التي يمكن توظيفها مستقبلاً .

5- التعرف على مواطن القوة لاستثمارها ودعمها ، ومواطن الضعف لتصحيحها وعلاجها ، ويتطلب ذلك مكاشفة بينية في غاية الوضوح والصراحة ، بعيداً عن المجاملة أو التسويغ .

6- دراسة الاحتياجات الآنيّة التي تتطلبها المرحلة الحالية ، (الأهداف القريبة) .

7- دراسة التطلعات والطموحات المستقبلية (الأهداف البعيدة) ، من خلال الإمكانات والقدرات المتاحة ، ومن ثم : السعي إلى التوفيق بين الأهداف القريبة والبعيدة ، بحيث يكمل بعضها بعضاً ولا يطغى جانب على جانب آخر .

8- ترتيب سلم الأولويات العلمية والعملية بمقتضى النصوص الشرعية ومتطلبات الواقع الذي تعيشه الصحوة الإسلامية .

9- دراسة الظروف المحيطة ، والتحديات التي تواجهها الأمّة ، والعقبات المتوقعة من داخل البناء أو خارجه والحذر من داء التبسيط المفرط للمسائل الذي يؤدي غالباً إلى الغفلة والتهاون وعدم المبالاة ، وداء التصعيب المفرط الذي يؤدي إلى تعقيد المسائل وتضخيمها حتى يصاب المرء بالإحباط واليأس ، وهما اللذان يُعبر عنهما الأستاذ مالك بن نبي بذهان السهولة وذهان الاستحالة .. ! ! ! .

ويضمن ذلك نسبياً حساب المواقف قبل وقوعها ، ومعرفة البدائل الممكنة ، ممّا يجعل تقدير القرارات أكثر دقة وفاعلية .

وبهذا التكامل والشمول تتحرك الصحوة الإسلامية وفق خطط علمية محكمة مدروسة ، تنتقل فيها الدعوة من مرحلة إلى أخرى ، تتفادى أو تستعد من خلالها للأزمات المفاجئة ، وتساهم مساهمة فاعلة في صناعة الأحداث وتوجيهها ، ولا تقف دائماً موقف ردود الأفعال التي تفرض عليها فرضاً .. ! ! ؛ قال الله (تعالى) :

 وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم [الأنفال : 60] ، وقال (تعالى) : يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتٌ أو انفروا جميعاْ [النساء : 71] .

وعلى الرغم من إدراك كثير من الإسلاميين لخطورة هذا الأمر وأهميته ، إلا أنّ التفاعل العملي مع هذه الحقيقة يسير بتثاقل وتباطؤ غريب .. !

إن كثيراً من الدعاة يُستهلكون في الأمور الوقتية والأعمال اليومية وهي من الخير إن شاء الله ولكنهم لا يجدون وقتاً لتقويم أعمالهم وتاريخهم ، كما لا يجدون وقتاً لرؤية ودراسة مستقبلهم ، وقصارى ما يفعلونه النظر تحت أقدامهم .

وإن مستقبل الأمة له علاقة وطيدة بإعداد الأمة وتربيتها تربية شرعية متكاملة، فإلى متى يستمر مصير الأمة ألعوبة بأيدي الساسة الذين ينظرون إلينا بازدراء شديد ومهانة ، ويمارسون في حقنا مختلف ضروب الاستبداد والتعسف ، ويستخدمون العصا الغليظة التي تُلهب الظهور ، بل وتقطع الأعناق .. ! !

إن عملاً جباراً ضخماً مثل العمل الإسلامي الذي يُراد منه انتشال الأمة ، الأمة كلها ، من حمأة الجاهلية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .. ونحوها لا يقوى عليه آحاد من علماء الأمة ومفكريها مهما بلغت إمكاناتهم وقدراتهم ، كما لا يقوى عليه فصيل واحد من فصائل العمل الإسلامي مهما بلغ مفكروه وقواعده وجماهيره ؛ فهو يحتاج إلى جهود جبارة تُستنفر لها كل الخبرات والطاقات المتوافرة ، أو التي يمكن توفيرها ، وتوجّه بخطط مدروسة وأعمال محكمة ؛ قال الله (تعالى) : أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمشي سوياً على صراط مستقيم [الملك : 22] .

---

(1) الإدارة في التراث الإسلامي ، محمد البرعي وعدنان عابدين ، ص25 .
(2) أخرجه : البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام (6/619) ، رقم (3612) وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- من المشركين بمكة (7/164 165) رقم (3852) .
(3) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (2/120) وابن حجر في الإصابة (2/ 19) ، وفي إسناده نظر ؛ انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد (ص280) .
(4) رواه أحمد والنسائي بإسناد حسن كما قال ابن حجر في الفتح (5/280) ، والطبراني في المعجم الكبير (11/376) ؛ انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص448-449) .
(5) انظر : أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب ، محمد محمود الصواف ، ص7 .

الملف الأدبي (نصوص شعرية)

أهـازيج
دماء اليقظة

تركي المالكي

القصيدة :

قدّمَ لي أشلاءهُ طريةً ..
مغموسةً بالحزنْ !
أوقدَ لي مشاعِلَ العينينْ
غارين تنزفان آلامَهما ..
وتنبضان رغمَ ثِقْلِ الوهْنْ !
تلوحُ في عمقهما ..
بلدتُه التي هوتْ ..
قوتُه التي وهتْ ..
أحلامُه التي استحالتْ ..

نُتَفاً من عهْنْ ! !
* * *
أنظرُ بالبرودة المعتادةْ
يُثيرني ..
(أحفرُ في ذاكرتي ! ..
لا ألتقي متسعاً للحفرْ
أوقفتُني ؟ ! أوقَفَني ؟ !
سيانِ إذ قد عدت بالخفينِ
لا بالسِر
صفراً تجرّ الصفرْ)
لكنما .. يعلقُ بي ..
من رحلتي سؤالْ
أقذفُه كطلقةٍ ..
بدايةَ اشتعالٍ ! :
من أنتْ ؟
عضو شوتْه الحُمّى ..
تحتَ جحيم قصفهم تداعى
يفرشُ جسرَ دمهِ ..
ينسجُ من أشلائه شراعا !
يسري إليك منهكاً مراعا
(يُشعلُني يمنحني آليةً للحفرْ !
تنبضُ في الحمّى ..
أُبصرُني أمخُرُ بحرَ السرْ
أقْلبُ وجهَ (جروزُني) ..
تَشِفّ من خلاله بخارَى !)
أقرأً فيه نبضَ (داغستانَ)
وجهَ شاملٍ
ووهجُهُ يُقاوِمُ (الثلوجَ) و (الحيارى) !
دهشةَ حمزاتوفَ مصلوباً
تشُدّ عنقَه (رفاقُه) النصارى !
أحضنُ حزن صاحبي
يسبقني فمي ..
كلمعة الضياء في مغارةٍ ..
وكلّ حرف وقدةٌ ..
يضجّ في أرجائها دمي :
تعالَ أنت مني ..
دماك هذي تنتمي للفجرْ !
تعال وادرعني ..
نكون نبتتين تثمران لو ..
بعد عقود زهرْ ..
ونَبْعةً ونصرْ ..
وتمزجان بذرةَ الجهد بماء الصبرْ !
يَسْكُنُني ..

نصيرُ جسماً واحداً ..
فبعضُه لبعضه تداعى ! !

* * *

تَلقيات :

صوت 1- قصيدةٌ كالشمسْ .
صوت 2- أهزوجة لم تنغمس في الهمسْ .
صوت 3- جديدةٌ .. خيالُها يفتح لي نوافذاً ..
ألحانُها تحملُني ..
فوق بساط الجرسْ .
صوت 4 - .... سْ .

* * *

إفاقة خارج النص : (جروزُني) ..

ما بين أحلامي وقصف الأمسْ
تستقبل الصباح بالجراحْ !
ما بين أشعاري وبرد الرمسْ ..
تعلم عني أنني ..
أنزف في الحبر رؤى
وحُلُماً .. ونَفَساً مشتعلاً من نَفْسْ ! !
أما يدي فالقيدُ في معصمها ! ! ..
يحولُ ما بين يدي ..
والقوسْ ! !

كتابة

الكتابة بوصفها فعلاً بحسبها مقاومة

د . مصطفى السيد

إن المجرمين إذ يطالعون النص المكتوب ، فإن براعته وقوته تفعل في نفوسهم وعقولهم فعلاً فاتكاً وإذ هم على الفور يفصحون عن سوء ما صنعوا ، وقد يُقلعون عن سوئهم أيضاً .

ليس على الأرض أخطر ولا أقوى من كاتب يعيش من أجل فكره ، فهو يُركز كل وجوده في فكره كما تتركز أشعة الشمس في عدسة ليستطيع أن يُحْدث مثلها نوراً وهّاجاً ساطعاً .

تُعَدّ الكتابة في عصرنا بل وفي كل عصر إحدى أهم الوسائل التي يمكن من خلالها قراءة مجتمع ما بتفاصيله وهمومه ؛ تقرأ حياة الناس اليومية وأحلامهم ، وتحاول أن تشير إلى مواضع الخلل والألم ، لأنها لا تخاف القضايا الساخنة أو الحرجة ، وإنما تلج إلى أعماقها ، والكتابة حين تنهض بهذا الدور تقول الكثير ، وتعطي الكثير ، إذ تصبح كالمرآة التي يرى الشعب فيها نفسه ، والإنسان حين يرى نفسه بوضوح لابد أن تتحرك طاقاته ومشاعره ليصبح أكثر وعياً . هذه إحدى الرسائل التي تتطلع الكتابة إلى توصيلها لأن النص المكتوب ليس إلا رسالة باتجاه القارئ ، فإذا فقد مضمونه الجاد ألغى نفسه وقارئه .

إن إيماننا راسخ بأن الكتابة قوة خفية آسرة ، تدفعنا إلى الاكتمال الصعب في مواجهة النقص الملازم للعاجزين والكسالى ، إنها الملاذ الذي نشيده لنرفع به القبح والحصار والتشتت ، وكم هو مدين الكاتب لهذا الإيمان الطامح الذي يدرأ عنا بفضل الله الكثير من الأذى الذي يواجهنا .

إن الكتابة الأصيلة يكفيها أن تحول بيننا وبين الكتابة التي تكون حسب الحجوم والأيام والمناسبات والمواسم .

الكتابة هي الهوية الفكرية للإنسان المثقف يُثبِتُ من خلالها وجوده ، ويُبرز عبر سطورها حضوره ، هو يكتب فهو موجود ، ولئن كان ميلاد الإنسان اللغوي يَثْبُتُ بالكلام ، فميلاده الفكري يُثَبّتُ بالكتابة .

والكتابة الصادقة تمتزج بمواقف الإنسان امتزاج الدم بالشريان وهي ليست بياضاً في سواد ، وصحفاً تقرأ أو لا تقرأ ، بل هي شهادة على العصر ، واستكشافٌ لسبل التوصيل والتواصل مع طائفة من الناس جعلت من الحروف قُوْتَها وقُوّتها ، تبتهج بالنص الجديد المضمخ بطيوب الواقع لا المتضخم بالحديث عن زائف الفواقع، النوازل المفجعة .

الكتابة الصادقة جُهْدٌ وجهاد لأنك :

لا تستطيع أن تكتب خارج دمك
نعبر النهر فنشمر عن سيقاننا
في الكتابة
لابد أن نشمر عن أرواحنا
لأن الكُتّاب الذين خافوا
أصبحوا كتبة
والشجعان مع الكرام البررة

عندما يضحي الكاتب بسلطته يغدو كاتبَ السلطة ، كاتب الوظيفة والارتزاق لا كاتب المواجهة والاستشهاد .

قال الإمام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) : وتجد أئمة أهل العلم من أهل البدعة والفرقة ... يصنفون لأهل السيف والمال من الملوك والوزراء ويتقربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم [1] .

مثل هذه الكتابة تكون كتابة اللحظة الطارئة بأعراضها وصدقها الواقعي ، ولكن أبعد ما تكون عن أن تعكس جوهر اللحظة وترسباتها السياسية والفكرية والفنية التي تمنحها بقاءً شبه أبدي خارج اللحظة التي أنتجتها .

مثل هذه الكتابة مهضمات فكرية وليست غذاء ، تمارس فيها عمليات التنظيمات والتشذيبات الداخلية للخطاب ، التي تنتهي في ظل ظروف من الإقصاء وضروب من الاستعباد إلى إقامة مساحات الصمت والإضمار ، وساحات من الإفصاح والإعلان تحكم ما يجب أن يقال ، وما يخضع للتجديد والكشف والابتكار وما يتبع نظام التعقيب والتبرير والتكرار .

هذه الكتابة : تحصيل حاصل ، كلام دون إشارة ، قول دون دلالة ، أصوات بلامعان ، كمٌ دون كيف ، بدن بلا روح ، مياه راكدة دون مصب ، تنشد الأمان والسلامة ، مهنة رسمية ، تمّحي الشخصية فيها ، لا تتغير من زمان إلى زمان ، ولا تتبدل من مكان إلى مكان ، ولا من شخصية إلى شخصية ، ولا من قضية إلى قضية .

هذه الكتابة : أدت إلى تضاؤل الاهتمام الشخصي والشعبي وفقدان الثقة في الكاتب والمكتوب على السواء .

أما الكتابة الجادة فقد تفتح على المرء أبواب الجحيم عندما تلقي به بين أشداق

النقاد الذين لا يرقبون في مخلص إلا ولاذمة ، ولكنها تبقى الكتابة التي تروي حقول الانتظار بقطرات الأمل لأنها تهطل على النفوس بأشعة الوعي ، فإذا لامست شغاف القلب اهتزت وربت وأنتجت من تجاوب القراء بقدر ما تحمل من عناء الكاتب وعنايته .

هذه الكتابة والموت فرسا رهان وقرنا ميدان ، لأنها شهادة لله وشهادة على الناس وشهادة في سبيل الله ، حسبها من الأثر الحميد إشاعة تيار جديد من الأفكار الحقيقية الصادقة ، إنها ليست فن ارتياد إمكانات اللغة فقط ، وليست كذلك دخول الأبواب المفتوحة ، بل فتح الأبواب المغلقة والعقول المقلقة أيضاً .

هذه الكتابة : لا تقف عند حدود التفسير فقط ، بل تستشرف تخوم التغيير ، وآفاق الغد ، لأنها ليست حذلقة فكرية ، تدعي وجود عمق مفقود ، أو تغطي خواءً مشهوداً .

هذه الكتابة : يكون الكاتب فيها هادياً ومعلماً ، ولا تكون منازلة في معركة (دونكوشوتية) وهمية ، إنها النص الضد لكتابة التسلية التي رفضها الكاتب الذي صرخ مستقيلاً من قيودها .

سيداتي آنساتي سادتي :
سلبتكم عشرين عام
آن لي أن أرحل اليوم
وأن أهرب من هذا الزحام
وأغني في الجليل
للعصافير التي تسكن عش المستحيل
ولهذا : أستقيلْ .. أستقيلْ .. أستقيلْ .

الكتابة المسلية تطرد بحروفها قطرات الأمل لتؤسس لعبودية فكرية عمادها نصوص تُرَص ولا تقول شيئاً ، تسد خلة الكاتب إلى الشهرة الكاذبة وسحت المال ، وتسد عقل القارئ ونفسه لما حوته من ثقافة السخافة ، وسخافة الثقافة .

الكاتب العضوي المنتمي إلى عقيدة الأمة لا يضع قلمه في يده فقط بل وفي قلبه أيضاً ، يفعل ذلك ليواجه كتائب المرتزقة ، وفصائل ذوي الجعائل ممن يقبضون أقلامهم عن نُصرة الحق وأهله ، ويطلقونها تنهش في أعراض الرجال .

عندما نكتب يجب أن نكون نحن ، وليس مصالح الآخرين المزيفة معكوسة فينا ، يجب أن نكون صوت من لا صوت له .

(عندما يخرس الإنسان في بلائه
يمنحني الله قدرة التعبير عن شقائه) .

إن من اضطر غير باغ ولا عاد أن يقول ما لا يقال ، وأكْرِه وقلبه مطئمن بحب الخير وأهله فلا تثريب عليه إن شاء الله ، أما الذي يتبرع بالخضوع ويَطّوع بالخنوع ، فلن تقبل معاذيره ، لأنها من لاغية القول ، وسيحمل من أوزاره ومن أوزار من يضلهم ما شاء الله له أن يحمل .

الكتابة حقاً لا تنفي ولا تصادر بل تحاور وتتسع لوجهات النظر ، ولا تبتزّ الخصوم بكل ما في المعجم من سوء الألفاظ والألقاب لأنهم خالفوها الرأي .

هذه الكتابة تحاور فتنقل المتلقي إلى آفاق أوسع ، ولا تراوح مكانها ، لأن كاتب المراوحة لا يسطيع بدون تاء أن يَضُحّ في عقول القراء مبادئ المعرفة التي توسع مداركهم إلا إذا كان تعلم بدوره مبادئ الحرية والأخلاق والتسامح والترفّع ، ففي ظلال هذه القيم الأربع يصبح الالتزام والحرية شيئاً واحداً وقيمة عظيمة أيضاً ، وتجعل من القارئ الذي ينتظر هذه المعرفة الطازجة شريكاً مهماً في محاولة التأسيس لجيل متحضر شاهق الجباه ومن الأسْد الأباة ، هدفه مقاومة السلبية

واللامبالاة التي سُجن في أبهائها وردهاتها كتاب كُثْرٌ ممن قَوْلَبوا المجتمع عبر الكتابة المدجنة والأفكار المهجنة في أنماط من التفكير هشمت آمال الأمة وهمشت دورها .

إن الكتابة التي تصادر فيها حرية الكاتب هي المدخل المؤدي إلى مصادرة حرية الوطن والفكر معاً ، وتقييد الكتابة يؤدي بشكل طبيعي إلى تدمير الوطن والمواطن .

إن الكتابة التي تؤسس للحوار الهادف المسؤول وليس للهتاف المتحمس المتهور هي بفضل الله ضمان مستقبل أفضل ، والحوار مهما بهظ ثمنه واحتد صوته يظل أرخص من نقطة دم تسفك وطي كشح على حقد .

إن حصار الكاتب رغبة أو رهبة ينتج حكماً وحتماً طبقة من الكتبة المدربين على تقديم المعلبات الثقافة والأدبية والفكرية ؛ يقدمونها بعد أن انتهت مدة صلاحيتها لتصيب عقول القراء بالشلل ، ولتنتج بالتالي ثقافة عاقراً عقيماً عبر مضغ الناس ثقافة اللا أمة واللادور واللاقضية .

في مناخ المصادرة يقرأ الكاتب (النشرة الجوية) للكتابة ليتعرّف اتجاه الريح ، فإن كان عصر الاشتراكية فكراً وأدباً عكف على سير أعلام الخبثاء : ماركس/ انجلز/ ولوي التوسير (أحد كبار مفسري الماركسية في فرنسا قضى قبل سنتين) وجاستون باشيلار ، وتيري آجلنتون (ناقد إنجليزي ماركسي) / وبيار لوكاتش/ ولو سيان جولدمان (من كبار نقاد الأدب الواقعي والماركسي) .

وإني لأقسم بكل قسم مباح وبكل يمين يعظم به الرب (سبحانه وتعالى) أن مثل هؤلاء الكتاب في ظل الظرف السابق يصبحون يساريين ؛ فيكتبون عن كل السابقين، ويمسون إذا اتجهت بوصلة السلطة إلى الإسلام إسلاميين فينشرون سيرة الإمام الشافعي (رحمه الله تعالى) ويحدثونك عن شيوخه مثل مالك ومسلم بن خالد الزّنجي ويتكلمون عن أصحابه وطلابه والمتمذهبين بمذهبه مثل القفال والربيع راوي الأم ، والنووي ، و الرسالة في الأصول ، والشافعي في بغداد ، والشافعي في القاهرة ... إلخ ، هؤلاء هم كتاب النشرة الجوية .

وأخيراً : فستبقى النصوص التي ينتجها كل كاتب بمفازة من الاهتمام وبمبعدة عن القراء ما لم يُدخل العالَم بفتح اللام الأخيرة بوصفه نصاً والواقع بوصفه نصاً أيضاً مالم يدخلهما في نسج الكتابة ، وستظل كتابته محدودة الأمداء مالم تكن ذات فضاء وأفق شاسع .

وإذا ما نفى الكاتب موضوعية الآخر بهوى النفس ، واختزل العالم بفقهه الخاص ، ونقل الإبداع من حوار بين الكاتب والناس إلى حوار بين القلم الأخضر وقوى الابتزاز والقرصنة بكل صورها فإن الكتابة حينئذ تكون قد فقدت مشروعها ووأدت طموحها .

---

(1) الاستقامة ج1 ص43 ت/ د محمد رشاد سالم .

نصوص شعرية

السحاب في معتقل القيظ

علي الغامدي

شفتان مرهقتان من وجعين قد دهماهما ! ..
وجع السؤال المرّ .. مع وجع الجوابْ ! !
فالقيظُ أشعل نارهُ

وبني مدائن للسرابْ
قيظٌ تربعّ في العيون وشدّ أرقةَ العذابْ !
جمع المعاول ثم علّمها الخرابْ ! !
ويداه تمتهنان زرعَ العقم في رحم الترابْ !
كم ظلّ يحلم أنه سيشيد معتقلاً ليُسكِنه السحابْ ..
فالقيظُ غايته الخرابْ
مازال يخدعه السرابْ
شفتان والينبوعُ وارِثه السلاسلُ والقيودْ ..
والقيظُ فجّر سوطَه ينبوعَ دمْ !
رصفتْه أشلاءُ الأباةْ
لم تسمع الجدرانُ رغم السوط آهْ ! !
فتعلمتً معنى الحياة
والسوط لا يدمي سوى كبد البغاةْ !
أصغى الجدارُ لعله يحظى بآهْ ..
فبكى وسالت دمعتاهْ :
ما المجد إلا للأباةْ ..
حتى وإن مكث الذبابُ هنيهة فوق الجباهْ .
شفتان والأقدام تفترش العظامْ ..
همجيةُ الأقدام تجتاح السنابلَ في انتقامْ !
وتجاهلتً أن السنابل لا تموتْ ..
من كل سنبلة سينبت ألفُ سنبلة ويخضَرّ الحطامْ ! !
وغد السنابل لن يفكّ لثامَهُ غيرُ الحسامْ !
لا نفع من جيش الكلامْ ..
مالم يُسطّرْهُ الحسامْ
في الفجر تنتفضُ العظامْ ..
لتهزّ أفئدةَ الطّغامْ
في الفجر يحلو الإبتسامْ
شفتانِ والرسخ اختفى والقيدُ ملّ ..
وقوافلُ الكلمات ألهبَها الحصارْ ..
حتى غدتً في لجة الأمواج للساري فنارْ !
نور ونارْ
والنار في الظلماء تزداد استعارْ
والنور لا يخبو إذا ما اشتد في الليل الحصارْ
فالنور ناصية النهارْ !

متابعات نقدية

في التحليل الشعري ...
دخان الصمت

أيمن علي

ما أجمل الشعر إن صدر عن نفسٍ شاعرةٍ ، تتلمسُ مآسيَ واقعٍ مريرٍ يُزْجي الحزن بنغمة تتسللُ لنفس قارئها ، فيتحد القلبان وتتساقطُ دموعُ ألمٍ بين شاعرٍ عاش

لأمة سادَتً قروناً ، وقارئ وجدَ بغيته في كلمات عرفها قلبه وعجز عنها لسانه .
وها هي قصيدة الأستاذ (عبد الوهاب الزميلي) دُخان الصمت تقفُ بالقارئ على واقعٍ تُعُلّمَ فيه الصمتُ ، وخِيفَ الكلامُ عنه، فبدَتً كلماتُهُ دخاناً تعبر عن صمت خانق بشيء غير مرئي ، خوفاً من فضيحة الكلمات في زمن صُودِرَتً الكلمةُ فيه .
بدأ شاعرنا أبياتَهُ بثنائية النحات والمنحوت ، فالنحات يمثل القوة المتصرفة كيفما شاء ودونما مساءلة ، والمنحوت يمثل العجز بتبعية مطلقة لا تعرفُ إرادةً غيرَ إرادةِ صاحبها .
وإذا تأملنا الأفعال التالية في أبيات المجموعتين (أ ، ب) (تحفر ، ترقش ، تلون ، تسرب ، تسك ، تسقى ، تثقب ، يخنق ، نجد صفات هذا النحات الذي صب جاهليته بكل معانيها في منحوتاته ، حتى لا تَخْرِمَ منها شيئاً ، فَنَقَشَ في الأحداق حتى لا ترى إلا ما يريد ، وأفسد الدم بالحبر فتغيرت المشاعر ، فلم تَعُدً تمثل فكر أمة ، بل باتت تفكر في طعامها وشرابها فحسب ، لأن النحات حفر في جماجمها فماً حراًّ ! حراً يأكلُ ويشربُ ما يشتهي ويحب ، يخلو من أي مبدأ أو عقيدة ، وتفنن في تزيين عظام الصدر ليخنق الإيمان إن استطاع ليجعله ليلاً يمحو به الفجر !
والنقش من أقوى وسائل النحات ثباتاً واستمرارية ، وقرن معه الرقش والتلوين ليزيده خداعاً وجمالاً .

وفي أحداقنا نقشوا وصبوا في الدمِ الحبرا
يدُ النحات تحفرُ في جماجمنا فماً حراً
ترقّشُ [1] في عظام الصدر ليلاً يقضم الفجرا

وبعدَ هذا الواقعِ الأليمِ والتغاير بين صفات النحات المبادر الدؤوب المغير وبين صفات المنحوتات المستسلمة الضعيفة ، ينقلنا الشاعر من تلك الثنائية الصغيرة إلى دائرة التاريخ الواسعة بشقيها : شق الحق وشق الباطل ، وبعبارة أخرى ثنائية الصراع التاريخي بشقيه : شق يغوث ونسرا وشق معركة بدر التي فرقت بين الحق والباطل ، فشعور النحات بخطورة التاريخ الزاخر بموروثات الدين والعلم والوعي ، أملت عليه تزوير صفحات التاريخ حتى وإن اضطر لتغيير البحر على ما فيه من صفاء واتساع ووضوح ، بل حق وإن صوّر الألام أفراحاً ، والهزيمة نصراً والكفر إيماناً ...

تُلَوّنُ صفحةَ التاريخ والآلامَ والبحرا

ولم تَسْلَمِ الأطفالُ من يد النحاتِ التي غذتهم على مر السنين بأنه الشهم العفيف، ولم تَسْلَمِ الأزهار أيضاً على ما فيها من فطرة وجمال ، فأبدلها بأشواك القبح والهموم والشقاء ، بل سقى الشوك خمراً إمعاناً في الضياع واستبدالاً لفطرة الله ؛ يقول الشاعر :

تُسَرّبُ [2] في رؤَى الأطفال شهماً يخنق الطهرا !
تَسُكّ مسامعَ الأزهار تَسْقي شوكنا خمرا

ولما كانت الأمة ترى في معاركها ومنها معركة بدر النور والهداية والطريق إلى الخلاص من الظلم ، ثَقّبَ النحاتُ كل ذاكرة اتصلت بتاريخها ودينها ومبادئها ، لتبقى عارية عن الفكر كما أراد لها .

تُثقّبُ كُلّ ذاكرةٍ رأتً في بدرِنا البدْرا

وأما صفات المنحوتات فتوضحها الأفعال التالية في المجموعة الثالثة (ج) : نجري ، نعرى ، تطقطق ، تقرض ، تنشج ، نغمس ... من : سلب للإرادة واستسلام ، وخوف ، بل جريان خلف الزور بجميع أشكاله ومعانيه من : نفاق اجتماعي ، واقتصادي ، وتاريخي ، وثقافي ، وسياسي .

وَنَجْرِي في خِضَمّ الزور وفي أحضانه نعرى

فيوحي الفعل نجري بكثرة النفوس المريضة ، والزور هو تزويق الكلام وتحسينه في الصدر ، فكم من غافل تسابق لقول الزور والعمل به من أجل حياة تافهة دنيئة ، كما توحي به كلمة نعرى ، فالشقاء يسببه الناس لأنفسهم لطواعيتهم المطلقة للنحات ومساعدتهم له .

ولقد تنوعت أماكن التغيير التي أحدثها النحات ، ففي الأحداق ، الدم ، الجماجم، الصدر ... مما أدى إلى قطع الجسر ؛ جسر العبور إلى التاريخ والتراث ، الجسر الذي يربط الأمةِ بدينها وحضارتها ، وما تملك إلا النشيج كالصبيّ الذي يبقى بكاؤه في صدره عجزاً وخوفاً .

وما كانت يدُ النحاتِ لتنجحَ لولا انغماسٌ في شهواتٍ زائلة زائفة ، فاستنشق الناسُ الذهبَ والفضة بدلاً من استنشاق الحرية التي نَعِمَ بها أجدادُهُمً قروناً .

تطقطقُ في مفاصلنا نِمالٌ [3] تقرضُ الجسرا
وتنشجُ في حناجرنا حروفٌ تلعقُ القهرا
ونغمسُ في مناجمنا معاطسُ [4] تنشق التبرا [5]

لقد أظهرتً الأبياتُ الغلبةَ للنحات ، ورغم ذلك ما يزال الأملُ يحدو الشاعرُ من بداية القصيدة ، فيد النحات :

ترقشَ في عظامِ الصدر ليلاً يقضِمُ الفجرا

فالقضم : الأكل بأطراف الأسنان ، عكسه الخضم : الأكل بالفم كله ، فبين الشاعر حرص النحات على إطفاء الفجر ، ولكنه عاجزٌ لا يتخذُ وسيلةً سوى القضم، فالفجر ما زال مركوزاً في النفوس حتى وإن قُضِمَ أجزاؤُهُ ، وكذا قوله :

تَسُك مسامعَ الأزهار تسقي شوكنا خمرا

فالسّكُ : التضييق والانسداد ، فهو وإن ضيّق النور ، وحاول منع الهداية فإنه لم يستطع القضاء عليها .

وحتى مع استسلام المنحوتات جرياً وراءَ الزور ، ومع سيطرة النحات على الجوارح ، نجد الأمل بين كلمات الشاعر حيث يقول :

تطقطقُ في مفاصلنا نِمالٌ تقرضُ الجسرا

والقرض : القطع ، فقرضُ النملة مع كونه بطيئاً لا يكون هدماً شاملاً ، فالباطل وإن أثرّ في بناء الأمة عجز عن هدم كيانها .

وتأتي اللوحةُ الأخيرة من أبيات المجموعة (د) متمازجةً مع خيوطٍ ضعيفةٍ سَبَقَتْ ، لتتجمعَ في بوتقةِ أملٍ واحدةٍ تتضادّ مع سابقتها تجربة النحات بالإمكانات والنتائج .

ويطوي في ثنايا الرمل نبضٌ ينبتُ الجمرا
يفض التل ينفذ في عروقِ الموتة الكبرى
يُدهدهُ ما تحنطه وتلقمه فم المجرى
حروفُ يغوث وارتجفتْ لتعبدَ ربها النسرا

فإمكاناتُ النحاتِ كبيرةٌ ومواهبه متعددة ، ولكن سرعان ما تهدمت أصنامه وسارت مع النهر لتصبح سراباً ، لأنها لم تتبلورً من أفكارِ أمةٍ أو من تضحيات أثرت في واقعها ، وإنما هي زخرفات تعلمها النحات (يغوث) من ربه النسرا الذي لا يضر ولا ينفع .

وأما إمكانات الأمة المادية فهي قليلة ، ولكن رصيدها المعنوي متصل بأنبيائها، فمهما توارى الحق بالتراب فمن ثنايا الرمل مكان الرسالة الأولى تنبت حياة الوعي ، لتهدم ما تحنطه يد النحات فينتصر تاريخ أمّه قهرت أعداءها قروناً .

---

(1) تزخرف وتزين .
(2) تملأ ، ويقال : سربت إليه الشيء : إذا أرسلته واحداً واحداً .
(3) جمع ، مفرده نملة .
(4) مفرده معطس وهو الأنف .
(5) فتات الذهب والفضة قبل أن تصاغ .

نصوص شعرية
الأمل والعمل

علي الحجي

مَن قضى العمر كلّه   لم تصادفه معضلاتٌ ؟
كفكف الدمع يا أخي   هذه سنة الحياةْ
ليس يجدي بكاؤنا   إنما الصبر والثباتْ
إن تدعْ ساحة الرّماةْ   لا تدعْ نخبة الكُماةْ
اطرح اليأس جانباً   واتخذ مئزر الثّقاتْ
واصل السير عازماً   مُبعداً حاجز البُغاةْ
حاول البدء واعياً   لا تقل : إنه المماتْ
وارفع البيد ناهضاً   والتباشير مشرعاتٌ !
قد تقوّي قلوبنا   عارضات ومشكلاتٌ !
وهي تطهير آثم   وهي أجرٌ مع التّقاةْ
خالقُ الليل موجدٌ   يقظةً تعقب السباتْ
أحسنِ الظنّ فالمُنى   أمهاتٌ لها بناتٌ !
هل هموم تعوقنا   إن بدأنا من القَلاةْ
كالذي ليس عنده   غيرِ بحثٍ عن النجاةْ
فهو يسعى محاولاً   وائداً حالة الشّماتْ
آملاً في نجاحه   عزمُه يجمع الشّتاتْ
لو شكا من ضياعه   بات في قبضة الشّكاةْ
إن تحقّق صغيرةً   فالبساتين من نواةْ
ثم تُضحي فسائلاً   زاهياتٍ ورائعاتْ
ثم .. تُمسي خمائلاً   والعناقيد مثمراتْ
عثرة الممرء دُربةٌ   ربنا كامل الصفاتْ
ما التفاتٌ إلى الورا   بالذي يوصل السّعاةْ
ما ارتماءٌ على الثرى   بالذي يُنقذ الحُفاةْ
نشوة اللحن رقصة   في قلوب بها حياةْ
وفق معيار عازفٍ   ينحتِ الحرف أغنياتْ
ينسج الوزن مبدعاً   محدثاً روعة الأداةْ
وهو إن خالف الألى   ليس يخشى تفلّتاتْ
فهو يبنى على هُدى   دون إهمال سابقاتْ
فالإطار الذي به   أعذب الشعر كالمهاةْ ..
لم يلوّثهُ جاعلاً   نغمة الفن تُرّهاتْ !
من يكن قصدهُ الخنى   يلتمس ناديَ العراةْ
من يخُن وجهه السّنا   ما له في الحيا سماتْ
إن دفنّا تراثنا   سوف نفنى مع الغداةْ
يرفع الشهمُ قدرَه   إن يكن شادي الهداةْ

ثم يبني كيانه راعياً يوقظ الرّعاةْ
ليس في الشعر جذوة إن دعا الناسَ للسّباتْ !
أو تبدّى متاهة صبحُها الليلُ والشتاتْ !
أو تراءى (عريضةً) تشتري الزيف والهباتْ !

المسلمون والعالم

الأحداث في القوقاز ...
حرب لم يكسبها الروس ، ولم يخسرها الشيشان

د/عبد العزيز كامل

بعد أن وطئ الروس بأقدامهم الثقيلة أرض العاصمة الشيشانية (جروزني) وسط تواطؤ دولي مكشوف ، هناك أسئلة تتوارد على الأذهان حول هذه الحرب وانعكاساتها المحتملة على الصراع المحتدم الآن بين قوى الكفر والإسلام في الشرق والغرب .

لعلي في هذه السطور أتناول بعض هذه الأسئلة المطروحة ، ولنجعل الوقائع تجيب عليها :

أولاً : هل انتهت الحرب باستيلاء القوات الروسية على قصر الرئاسة ؟ :

التاريخ يجيبنا أن لا ، بل إن تلك الحرب يمكن اعتبارها قد بدأت بالفعل ، وبخاصة بعد أن انحاز إلى الجبال المقاتلون الشيشان الذين يشتهرون بالتمرس في معاركها عبر التاريخ ، فروسيا لم تستطع طمس هوية هذا الشعب عبر مائة وخمسين عاماً من الصراع في شمال القوقاز ، ذلك الصراع الذي بدأه القياصرة (البيض) النصارى ، ثم تبعهم القياصرة (الحمر) الشيوعيون ، ثم هاهم أدعياء الليبرالية الروسية (الغبراء) يحاولون إعادة الكرّة عن طريق المخالب والأنياب (الديموقراطية) .

لقد خاض الإمام شامل حرب عصابات في جبال القوقاز لأكثر من ثلاثين سنة، وحتى بعد أن سقط في (ميدان الكرامة) عام 1859م فإن الحرب استمرت حتى عام 1864م . وأهل الشيشان يقولون : إن الحرب التي بدأت فعلياً كحرب عصابات لن تنتهي إلا في حالتين : إما أن تستقل الشيشان عن روسيا الاتحادية ويرحل المحتل الروسي عنها ، وإما أن يفنى ذلك الشعب مفضلاً الشهادة على الحياة تحت سيطرة عدو حاقد يضع الشعب الشيشاني في مرتبة أدنى من مستوى الآدمية .

ثانياً : ما الذي دفع شعباً صغيراً كشعب الشيشان (مليون و200 ألف نسمة) أن يقدم على تحدي قوة من أكبر قوى العالم العسكرية لينازلها إلى النهاية ؟ وهل يعد هذا ضرباً من الانتحار الجماعي أو المغامرة بحياة الشعوب ؟

لك أيها القارئ أن تتصور حال شعب يتوارث إذلاله أعداؤه جيلاً بعد جيل محاولين إقصاءه عن دينه وهويته خلال مائة وخمسين عاماً من الحروب ، مرة لتنصيره ، ومرة لإجباره على الردة والدخول في دين من لا دين لهم من الملحدين الشيوعيين ، ومرة لإكراهه على الاندماج القسري مع عدوه الروسي فيما يسمى بـ الاتحاد الروسي ..

ماذا ينتظر من الشعب الشيشاني الغني بموارده النفطية وغيرها عندما يرى 98% من موارده تتحول كل سنة إلى موسكو بينما لا يبقى له غير 2% منها ؟ .. ماذا ينتظر من شعب لم يكن يوماً (أرثوذكسياً) في ملته أو (سلافياً) في عرقه وسلالته ، ومع ذلك يُكره على أن يكون جزءاً لا يتجزأ من جسم روسيا الأرثوذكسية السلافية ؟ ! .. ماذا ينتظر من شعب يُنظر إليه باحتقار لدرجة أن يقرر الزعيم

المتجبر ستالين أن ينفيه بأكمله إلى مجاهل سيبريا ، ويسلم أرضه لأهل (جورجيا) بدعوى أنه تعاون مع النازيين أعداء روسيا ، ثم يُكتشف بعد ذلك بسنوات طويلة أن هذا الاتهام كان مجرد (غلطة) ! ! .. وماذا ينتظر من شعب يتوعده الزعيم القومي المتطرف متنامي الشعبية جيرنوفسكي بسلب حقوقه المدنية و (إخصاء كل رجل فيه) ! ! .. وماذا ينتظر من شعب يتخذ لكل هذه الأسباب قراراً جماعياً بالانفصال عن هذا الاتحاد الروسي الإجباري ، ظناً منه أن الدنيا قد تغيرت وأن العالم الحر المنادي بحق الشعوب في تقرير مصيرها سيناصره ويؤازره ، فإذا بهذا العالم يقف مع عدوه ضده ؟ ! .. ثم ماذا ينتظر من شعب اختار زعيماً له عن طريق الانتخاب، ثم يراد إكراهه على الخضوع لزعامات مصنعة في الخارج من عملاء مأجورين ومعينين من قبل العدو وقادمين من الخارج فوق الدبابات ؟ ! إن هذه الأسباب وغيرها تفسر لنا : لماذا أجمع هذا الشعب على الوقوف خلف زعامة تقوده لمحاولة الخروج من هذا الهوان .

ثالثا : لماذا أقدم يلتسين على خوض غمار هذه الحرب بهذا الإصرار ؟ :

من الناحية الاقتصادية التي لها الأولوية في قرارات عُبّاد المادة أراد الروس أن يحافظوا على احتكار مصادر النفط الشيشاني الغنية ، ويُؤَمنوا مرور أنابيب النفط عبر هذه الأراضي التي يطلق عليها (بوابة آسيا) ، ثم هم يريدون استمرار تحويل نسبة الـ 98% من الموارد الشيشانية إلى جوف الدب الروسي المتخم بالشر والشره .

أما الناحية السياسية ، فلا شك أن التسليم بخروج الشيشان من تحت المظلة الروسية ، سيؤدي حتماً إلى تفكك الاتحاد الروسي الجديد ، ليلحق بالاتحاد السوفيتي الفقيد ، الأمر الذي سيعده الروس نذير شؤم يهدد أحلامهم بقيام إمبراطورية روسية تكون وريثة للشريك السابق في قيادة العالم ، وستتضاعف الكارثة إذا تتابع خروج الجمهوريات الإسلامية الأخرى في منطقة القوقاز التي تتشكل من نحو 40 أقلية عرقية وقد يكون انفصال الشيشان أول مسمار في نعش الاتحاد الروسي كما كان استقلال دول البلطيق أول سهم في صدر الاتحاد السوفيتي البائد .

رابعاً : هل حقق الروس أهدافهم من حرب الشيشان ؟ :

يستطيع المرء أن يجزم بأن هدف الروس المعلن من هذه الحرب وهو إعادة النظام وفرض احترام الدستور لم يتحقق ؛ فالأرض الشيشانية مازالت تغلي تحت أقدام الروس ، وعندما وضعت روسيا قواتها في حالة تأهب في 14/12/1994 ، ثم بدأت القتال بعد ذلك : كان مقرراً لهذه الحرب ألا تستغرق وقتاً طويلاً ، حتى إن وزير الخارجية الروسي قد صرح بأن المهمة العسكرية في الشيشان لن تستغرق أكثر من ساعات معدودة ، ومما يدل على أن الروس كانوا جادين في إنهاء هذه الحرب بسرعة : أنهم حشدوا لغزو الشيشان 150 ألف مقاتل ، بينما لم يحشدوا لغزو أفغانستان إلا نصف هذا العدد ، ولكن الذي حدث أن المعركة طالت وزادت أعباؤها مما أوقع يلتسين في ورطة ، ووجد الروس أنفسهم غارقين في مستنقع حرب عصابات يبدو أنها ستكون طويلة ومرهقة ومذلة للروس ومما زاد من ورطة الرئيس الروسي وعده بتخفيض عجز الميزانية الروسية بنسبة كبيرة لعام 1995 ، ولكن تلك الحرب عرقلت برامجه من أجل الوفاء بهذا الوعد ، وأصبح حصوله على مساعدات آتية من الغرب محل شك ، نظراً لأن صندوق النقد الدولي له حساسيات خاصة به فيما يتعلق بالأزمات الداخلية في الدول التي تتعامل معه .

ومما يدل على شدة اضطراب يلتسين من عدم انتهاء هذه الحرب بسرعة : أن قواته ظلت تقصف العاصمة الشيشانية بشراسة وجنون غير عابئة بالأصوات التي تنبعث من هنا وهناك منادية بوقف القتال ووصلت به العجلة إلى حد اعتبار الحرب

منتهية بمجرد الاستيلاء على قصر الرئاسة الذي تسلمه الروس مدمراً تماماً وخالياً ، ثم أعلن بوقاحة أن مهمة الجيش قد انتهت وأن الشرطة تتولى فرض النظام ، ولكن ظهر بعد ذلك أن المقاتلين الشيشان لايزالون يقاومون الجيش الروسي حتى كتابة هذه السطور في مناطق مختلفة من العاصمة (جروزني) .

وقد أدى استمرار القتال ، وبالتالي استمرار الانقسامات في المواقف داخل الحكومة والجيش الروسي إلى المزيد من الإرباك لـ يلتسين ، مما قد يضطره إلى التضحية ببعض معارضيه ككباش فداء ، وهنا لن يكون في مقدوره أن يحكم قبضته على منصب الرئاسة ، ولاتزال تفاعلات هذه الحرب مستمرة على الساحة الروسية نظراً لتزايد عدد القتلى والأسرى والجرحى الروس في الحرب ، أما على الساحة الدولية : فإن ديمقراطية يلتسين المدّعاة قد أصبحت نوعاً من المزاح الثقيل الذي لا يضحك أحداً ! ، وإلا فكيف تقرر روسيا الديمقراطية إزاحة رئيس منتخب من شعبه من على كرسي الرئاسة بواسطة الدبابات والطائرات ؟ !

أما من الناحية الإعلامية : فقد خسرت موسكو الحرب دعائياً ، واهتزت صورتها وهي تحشد قواتها وتكشر عن أنيابها بكل شراسة في مواجهة شعب أعزل يدافع عن أبسط حقوقه ، كما ظهر زيف وكذب إعلامها في تغطية أنباء الحرب ، وقد اعترف بهذه الخسارة الإعلامية سيرغي ستيباشين رئيس جهاز مكافحة التجسس في موسكو .

خامساً : ما هي انعكاسات أحداث الشيشان على ما يسمى الشرعية الدولية ؟ ، وما هو تقييم موقف الغرب من هذه الحرب ؟ :

مثلما سقطت مصداقية الديمقراطية الروسية مع كل صاروخ كان يسقط على (جروزني) ، فإن مصداقية الديمقراطية الغربية أيضاً كانت تسقط مع كل قتيل أو جريح يسقط من أهل الشيشان ، ذلك لأن الغرب هو الذي أعطى يلتسين الضوء الأخضر ، لكي يبدأ تلك الحرب الجائرة ، فهو لم يكتف هذه المرة بمواقفه السلبية الباردة فيما يتعلق بقضايا المسلمين ، بل إن موقفه اتسم في معظمه بمباركة هذا الغزو مبرراً إياه بأن جمهورية الشيشان تعتبر من الناحيةالقانونية جزءاً من الاتحاد الروسي ، وبالتالي : فإن مسألة تدمير العاصمة فوق رؤوس سكانها يعد مسألة داخلية في مفهوم دعاة حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها ! إن هذه الدول التي وقفت موقفاً صارماً من الاتحاد السوفيتي السابق من أجل إطلاق عدة آلاف من اليهود السوفيت ليهاجروا بحرية إلى الأرض المغتصبة في فلسطين بدعوى حق الإنسان في العيش حيث يريد : هي الدول نفسها التي تتنكر الآن لمجرد حق الحياة الآمنة للشعوب المسلمة المستضعفة في الشيشان والأنجوش والبوسنة وفلسطين وغيرها ، وتلك الدول التي ساندت بحزم المفكر الروسي أندريه سخاروف ضد الرئيس السوفيتي الأسبق ليونيد بريجنيف بدعوى حق الإنسان في أن يفكر كما يريد ، هي نفسها التي لا تريد أن تقر الآن لشعوب بأكملها أن تشق طريقها في الحياة حسب ما تمليه عليها قيمها ومعتقداتها ، وهذا الموقف المتنكر لحرية الشعوب في تقرير مصيرها جعله الغرب وقفاً على الشعوب الإسلامية فقط ، أما حينما قررت جمهورية (ليتوانيا) في عهد جورباتشوف الانفصال والاستقلال ، فإن تلك الدول قد وقفت خلفها بكل قوة ، مما عجل بانفراط عقد الاتحاد السوفيتي البائد ، فحقوق الإنسان المسلم مستباحة لكل من أراد الغزو أو التطهير العرقي أو فرض النظام واحترام الدستور ! ، أما حقوق الإنسان في مثل (هايتي) و (بنما) فمن أجلها يُعد الغزو وتجييش الجيوش أمراً واجباً حتى لا تضيع القيم الديمقراطية ! .

سادساً : ما مدى إسلامية المعركة التي يخوضها الشيشان ضد الروس ؟ :

هذا السؤال يتكرر كلما نشب صراع بين قوى الكفر وبين طوائف أو شعوب

من المسلمين المستضعفين المنسيين ! ، وربما كان هذا السؤال بريئاً للتأكد من شرعية دعم المقاتلين في هذا الصراع ، وربما يكون مغرضاً : الهدف منه التثبيط وصرف أنظار المسلمين عن قضايا إخوانهم في الدين والعقيدة الذين يستنصرون بهم فيوجبون عليهم النصرة .

والذي يتضح من تاريخ هذا الشعب في الجهاد وصموده ضد رياح التغيير التي هبت عليه من كل جانب : أنه شعب يريد الحق على أقل تقدير وإن لم يكن مستقيماً كل الاستقامة على منهاجه ، وأحاديث القادة هناك وإن كانت مما ينبغي أن تؤخذ على حذر إلا أنه لا ينبغي أيضاً أن تتجاهل فيها العاطفة الإسلامية ! ؛ فالشيشان أصحاب قضية وإن انتشرت بينهم الخرافة والبدعة ! ، ولكن الأصل المعمول به عند علماء أهل السنة كما قرر ذلك الإمام ابن تيمية أنه يجاهد مع الأمير الفاجر الأمير الكافر ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنهم مستضعفون غاية الاستضعاف بالنسبة لعدوهم كان الأمر آكد ؛ فالنسبة العددية بين الروس والشيشان هي 100 : 1 ، أما القوة العسكرية : فجيش الشيشان لا يتعدى الـ (40) ألف مقاتل بينما الجيش الروسي يتألف من أكثر من مليوني جندي ، وأما عن ناحية العتاد : فسلاح الشيشان : معظمه من السلاح الخفيف ، وحتى الثقيل منه فمحدود وقديم ، أما الروس : فيملكون أكبر وأقوى ترسانة للأسلحة في العالم . وهذه المقارنة علي كل حال لا تعني صرف النظر عن نصرة هؤلاء المظلومين المستضعفين في حرب الإبادة التي شنت عليهم ، ولكنها مما يؤكد وجوب نصرتهم بالمستطاع في معركتهم المصيرية ؛ فنحن أمة نؤمن بالغيب ، وبأن الله (تعالى) قد أحكم في الكتاب آية تنبيء عن سنة كونية ثابتة لا تتغير وهي قوله (تعالى) : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ [البقرة : 249] . لقد أعلن الرئيس جوهر دوداييف أن خسائر الروس في تلك الحرب قد بلغت 12 ألف روسي . ومن يدري ، فلعل الله (تعالى) قد شاء أن ينزل زعامة الاتحاد الروسي من علياء كبريائها على يد المستضعفين الشيشان ، كما أسقط من قبل بنيان الاتحاد السوفييتي ركاماً على يد المستضعفين الأفغان .

وصدق الله العظيم في قوله : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ﴾ [الحج : 60] . اللهم انصر إخواننا وثبت أقدامهم ، وزلزل الأرض من تحت أقدام أعدائهم .. آمين .

.

حزب الله ... الأمريكي !
أمريكا تنتخب الإنجيل

د . عبد الله عمر سلطان

أمريكا اختارت الإنجيل ... أمريكا أثبتت للعالم مرة أخرى أنها أكبر قوة متدينة في الغرب ؛ هذه هي خاتمة برنامج وثائقي أنتجته إحدى أكبر محطات البث التلفزيوني في الولايات المتحدة ، وكان متزامناً مع تغطية صحفية واسعة النطاق عن الصحوة الدينية التي تجتاح أمريكا من المحيط الأطلسي حتى المحيط الهادي كالموجة الهادرة .

البعض يجب أن يفسر هذه الظاهرة العامة بمنظار المجهر السياسي فيتحدث بإسهاب عن نتائج الكونجرس الأخيرة ومكاسب المتدينين وممثليهم ، ويسرف في التحليل ويبالغ في إبراز الأرقام والتركيز على شخصيات اليمين الديني الجامحة ... لا بأس من هذا ، لكن الظاهرة الدينية في الولايات المتحدة تتعدى البعد السياسي

لتشمل العنصر الأخلاقي والعقدي بصورة صارخة ، ولعل الظاهرة السياسية أحد إفرازات هذه الصحوة الدينية .. هكذا تحدث كليم ميلر الباحث الأمريكي ، ويضيف: يكفي أن ندلل على عمق تأثير الموجة الدينية أن الكونجرس الجديد وزعامته الجمهورية (المتنطعة) قد جعلت من قضية الصلاة في المدارس والأماكن العامة قضيتها الأولى كما يصرح نيوت جيجريتش زعيم الأغلبية الجمهورية ....

مراسل مجلة الإيكونمست لخص وضع الحزب الجمهوري في هذه اللحظة بالقول : إنه حزب الله الأمريكي وأضاف : ألين كويست مثال للموجة الدينية السياسية القادمة ، إنه من زعماء الحزب في ولاية (مانيسوتا) ، في حياته الخاصة هو متدين ولديه عشرة أطفال ! ، ويصرح باستمرار : أن على أمريكا أن تتطهر من الشواذ وأن تشن الحرب على مؤسساتهم ، وأن المرأة ليست مهيأة لقيادة الأمة ... وهذه الدعوة تلقى قبولاً وترحيباً ، هذه الظاهرة لم تعد محصورة في الجنوب الأمريكي المتدين تاريخياً ، إنها بدأت تطفح حتى في المدن المشهورة بالتحرر الشديد ... لقد أصبح للمتدينين قصب السبق في أماكن لم يتصور أن يصلوا إليها ك (نيويورك) و (كاليفورنيا) ، وفي هاتين المنطقتين أصبح الآباء المتدينون هم القوة الأولى في مجالس المدارس المحلية ، وبالرغم من الكر المتبادل بين المدارس الحكومية العامة والتيار الديني فقد استطاع التيار الديني أن يسيطر على 15% من مجموع المجالس في الولايات كلها والتي يبلغ مقدارها 2250 مدرسة ... يقول الشريط التلفزيوني : حتى في (هوليود) عاصمة السينما بدأ الزحف الديني يدق أبوابها ، وأصبحت عاصمة الفن الأمريكي تشعر أنها محاصرة من جهتين الأولي خارجية والثانية داخلية ، لقد بدأ زعماء التيار اليميني مثل نيوت جينجريتش يهزأون بالقيم المنحطة التي تشيعها صناعة السينما الرديئة ، وقبل سنتين استهدف نائب الرئيس الأمريكي دان كويل هذه الماكينة الإعلامية خلال الحملة الانتخابية ووصفها بالانحطاط ، لقد قوبل كويل بعاصفة من الاحتجاج آنذاك ، أما اليوم وفي ظل الشعور بالضياع والحيرة والرغبة في التدين فإن الملحوظات نفسها ستلقى الترحيب بدل الهجوم ، ويضيف التقرير المرئي : كانت أمريكا تلمس بيديها إفراز الثقافة المتحررة من كل قيد ... هناك أربعون بالمائة من الأطفال اليوم يعيشون من دون رعاية أحد الوالدين ، بينما يولد 28% من الأولاد خارج نطاق العلاقة الزوجية ، في الوقت الذي تنتهي نصف الزيجات تقريباً بالطلاق ، بينما يبلغ عدد الشاذين والشاذات أكثر من عشرة ملايين شخص . هذه الصور المأساوية للمجتمع تجعل حتى من هذه الفئات السالفة تنظر إلى القيم الدينية نموذجاً وحيداً قادراً على انتشالها من ورطتها .

هذه الورطة جعلت من التفكير بوسائل جديدة لكبح جماح الشهوة التي عربدت دهراً من الزمن أمراً ملحاً ، ففي تحقيق مطول عن الخجل ورد فيه : أن الأمريكي المتوسط كان يفتخر بأنه لا يهتم بشيء من حوله ، وأن إشباع رغباته وشهواته وحريته أمر مقدس ، أما اليوم : فهناك إجماع على أن فقدان الخجل أدى بهذه الأمة أن تصبح محاطة بالإيدز والمخدرات ورعب عصابات الأطفال والمتاجرين بأعراضهم ، وخلال هذا الخضم يتجه الناس إلى الدين فأمريكا اليوم تشهد صحوة دينية على مختلف الأصعدة حتى المتحررين الديمقراطيين كالرئيس كلينتون الذي يجد نفسه مضطراً إلى الظهور بصورة الرجل المتردد على الكنيسة والحريص على مبدأ العائلة المقدس ومفهومها رغم رواج الشائعات الكثيرة عن سلوكه المثير للجدل.

لقد رافق هذه الحمى الدينية انتشار واسع لجماعات أكثر تشدداً ، وفي بداية عام 1995 فجعت أمريكا بهجومين مسلحين على عيادتين للإجهاض من تدبير اليمين الديني ، الذي ينظر إلى ذلك العمل بوصفه جريمة بحق الدين والإنسان ، والذي يدافع عن برنامجه في حرب الإجهاض قادة الكونجرس الجدد ، ومع مرور

الوقت بدأت بعض عيادات الإجهاض في التلاشي والمغادرة بعد تكرار حوادث العنف والهجوم الذي تجاوز مرحلة التنديد السلمي إلى استخدام القوة بل السلاح .
وربما رجع المرء إلى الوراء قليلاً حين انتعش اليمين الديني في الثمانينات ولا سيما أيام حكم الرئيس ريجان حيث كانت العقيدة السياسية الداخلية والخارجية مصبوغة بلون ديني قوي وبظهور جماعات الأصولية الإنجيلية كبات روبتسون و جيمي فارويل وجيمي بيكر وجيمي سويجارت .. لقد شن الليبراليون حملة مضادة لقص أظافر الحركات الإنجيلية وتشويه سمعتها لا سيما وأن قادة الإنجيليين كانوا منغمسين في ممارسات تتناقض مع مبادئهم ورسالتهم .. أما الموجه الحالية : فإن قاعدتها تتألف من القطاع المتدين المتوسط دخله وتتشكل من أولئك المترددين على الكنائس المتعددة ، و في حين تحظى موجة الأصولية الحالية بوجوه بعض القادة المتشددين ك روبرتسون و فارويل فإنها تظل بعيدة عن السيطرة الكاملة لرجال الدين حيث تظهر زعامات سياسية متدينة تحمل رسالة الإنجيل وتمارسها بأسلوب سياسي ماكر كما يفعل نيوت جينجريتش .
لقد أفردت مجلة النيوزويك تحقيق غلافها قبل شهور عدة لرصد ظاهرة العودة إلى الدين بوصفها قوة وحيدة قادرة على حماية الكائن الإنساني من التمزق ، وركزت على العودة إلى الكنيسة أو الكنيس دون التطرق إلى ظاهرة بروز الإسلام على الساحة الأمريكية الذي هو أسرع الأديان انتشاراً ، وهذه الموجه الدينية العامة هي التي تُستخدم وقوداً لبرنامج الجمهوريين المسمى عقد مع أمريكا وهو تصور وضعه مركزا أبحاث هريتج و أمريكان إنيتر بريز لكي يحصدا نتاج هذه الصحوة الأمريكية الرافضة لنمط الحياة البائسة السائدة هناك ، التي ربما استعرضنا بعض جوانبها في مقال قادم إن شاء الله

آمال المسلمين .. والمنظمات الدولية
﴿ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾

عثمان جمعة ضميرية

مدخل :

موقف الغرب والشرق من قضايا المسلمين موقف واضح للعيان : إهمال واستهتار وسلبية مطلقة ، وسبق أن تطرقت المجلة لمواقف العالم ممثلاً في هيئة الأمم من قضايا المسلمين بشكل مفصل في مقال سابق ، وفي تناول المجلة لأحوال وقضايا بلاد المسلمين بعامة .
وهذا المقال رؤية تاريخية قريبة لمنطلقات هيئة الأمم وسابقتها عصبة الأمم ، وأنهما إنما أنشئتا للسيطرة واستعباد الدول الكبرى لغيرهم وتمرير ما يريدونه من مواقف وقرارات كما أشار إلى ذلك كثير من الباحثين والمتخصصين كما سنرى .
-البيان-
1- عندما خلق الله (تعالى) الإنسان جعله ينزع إلى الحياة مع الآخرين والالتقاء بهم ، إذ إنه لا يستطيع أن يعيش منعزلاً بمفرده عن بني جنسه ، يستوي في ذلك الأفراد والجماعات والأمم والدول ، ومن هنا نشأت العلاقات بين الأمم البشرية .
وقد جعل الله (تعالى) الناس شعوباً وقبائل وميّز بينهم ليكون هذا التمايز سبباً للتعارف والتعاون ، فقال (سبحانه) : ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ [الحجرات : 13] .

ومن هنا كان للأمم في علاقاتها مع غيرها قواعد مرعيّة ومبادئ تعارفت عليها منذ العصور الغابرة ، وعليها بنت أساس العلاقات في حالي السلم والحرب ، حتى قال مونتسكيو : ما من أمة من الأمم إلا ولها في حقوق الدول نظام ، حتى قبائل (إركوا) الذين يأكلون أسراهم لهم نظام من هذا القبيل ؛ فإنهم يرسلون رسلهم ويستقبلون رسل غيرهم ويعرفون أحكام السلم والحرب ، ولكن من سوء أمرهم أن نظام حقوقهم غير مبني على الصحيح من الأصول [1] .

2- وجدت هذه القواعد بوجود الجماعات الإنسانية ذاتها ، وقبل أن تكتسب صفة الدولة كما يعرفها القانون أو النظام الدولي الحديث فكان ذلك بداية لنشأة القانون الدولي على تسامح وتجاوز في التعبير لأن القانون الدولي بمعناه الحديث لا يتجاوز عمره ثلاثة قرون ؛ منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي ، على إثر المنازعات الأوربية التي انتهت بإبرام معاهدة وستفاليا سنة 1648م التي تعتبر فاتحة عهد جديد للعلاقات الدولية ، والنقطة التي يبدأ عندها تاريخ القانون الدولي في وضعه الحالي حيث نشأ القانون الدولي الحديث أصلاً في أوروبا ثم امتد سلطانه خارجها إلى الدول التي تأثرت بالمدنية الأوروبية ، ويؤكد علماء القانون الوضعي النشأة الكاثوليكية للقانون الدولي ، وأن حركة التأليف والبحث والنشر في القانون الدولي كانت مطبوعة منذ نشأتها بالطائفية والانحياز ، وسادتها المصالح الرئيسة للدول النصرانية ، فبدت أحكام هذا القانون مسُودة لا سائدة ، ومسوّغة لتصرفات الدول الاستعمارية ، مصبوغة بالإقليمية والطائفية والعنصرية [2] .

وكانت هذه النشأة للقانون الدولي مرتبطة بنشأة الدول الأوروبية واستقلالها عن سلطة البابا الدينية ، وبالتحولات الاقتصادية والسياسية التي واكبتها حيث ظهرت فكرة العائلة الدولية وهي تعني مجموع الوحدات الدولية ، وأهمها الدول ذات السيادة التي يقع عليها إلزام القانون الدولي ، وليست هذه الجماعة من الوجهة القانونية مستقلة عن الدول الأعضاء فيها ، وإنما هي تعبير عن صلاتٍ يربط بينها أنواع من الترابط .

وسبب نشوء هذه العائلة الدولية هو تمكين الدول النصرانية وحدها من أن تمتلك أراضي الجماعات غير النصرانية وأن تبطش بها وتستنزف خيراتها ، فلذلك كوّنت فيما بينها عائلة دولية أوروبية مسيحية [3] .

3- وفي هذه المرحلة كانت النصرانية هي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الدولية ، ولذلك أعلن التحالف الديني في المؤتمر الأوروبي المقدس ! عام 1815م عزم المتعاقدين القوي على ألا يتخذوا لسياستهم وتسيير شؤونهم إلا قواعد النصرانية ؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم مندوبين عن العناية الإلهية لمباشرة الحكم وأنهم أسرة واحدة ، رغم أنهم يحكمون بلداناً متعددة ويتبوّءون عروشاً متفرقة ، ومن هنا قال المعتمد البريطاني في مصر أيام الاحتلال الإنجليزي : إن واجب الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية (!) على رأس هذه البلاد مصر هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن ، وإن كان من الواجب منعاً لإثارة الشكوك ألا نعمل رسمياً على تنصير المسلمين ، وأن نرعى المظاهر الزائفة (!) للدين الإسلامي كالاحتفالات الدينية وما شابه ذلك .

وفي هذه المرحلة أعطى البابا بركاته ! لكل نصراني يحاول أن ينتقم من الكفرة المسلمين ! ، واستهدفت حركة الكشوف الجغرافية تفريق العالم الإسلامي واكتشاف طرق للتجارة مع الشرق لا تمرّ بالعالم الإسلامي ، وهكذا برّر رجال الدين النصراني المد الاستعماري بهدف ديني هو القضاء على الإسلام ، ولم يكن عندهم أي حرج من توجيه أي ضربة للأنظمة الاقتصادية والاجتماعية للدول الإسلامية والاستيلاء على أراضي الدول غير النصرانية واستعباد أهلها ، لأن الأوروبي يشعر

أنه سيد العالم .
ومن ناحية أخرى كان التحالف المقدس ! امتداداً للحروب الصليبية ، إذ إن التحالف نصّ على تثبيت قواعد الأخلاق النصرانية ، وقام عمل الدول النصرانية شاهداً على ذلك ، حيث تدخلت الدول النصرانية لمساعدة اليونان في ثورتها على الدولة العثمانية ، كما ساعدت وساندت حركات الانفصال التي قامت بها أيضاً : رومانيا ، والصرب ، وبلغاريا وكانت ولايات في الدولة العثمانية .
ومن أقوى الأدلة على ذلك أيضاً : ما كتبه أحد ساسة فرنسا في عهد لويس الرابع عشر حيث قال : إن على فرنسا أن تنتهز فرصة السلام الذي تنعم به أوروبا بعد حرب السنوات السبع ، وتنقضّ على الإمبراطورية العثمانية لتقيم صرح المسيحية وتستخلص الأراضي المقدسة ، وإن مشروع قناة السويس مشروع صليبي، ويجب أن تكون ملكاً مشتركاً للعالم المسيحي [4] .

4- ثم في مرحلة تالية اتخذت الدول الأوروبية أساساً جديداً للعلاقات الدولية ، وهو المدنية ، بمعنى أن الدول المتمدّنة يصح أن يعترف لها بالشخصية الدولية وأن يكون لها حق التملك وأن تكون عضواً في العائلة الدولية ، وذلك لأنها اضطرت لاعتبارات تتعلق بالتوازن الدولي إلى قبول الدولة العثمانية في معاهدة باريس (1856م) عضواً في العائلة الدولية ، فتشارك الدول النصرانية في الحقوق والواجبات الدولية على أساس المساواة ، غير أن هذه العضوية ظلت ضعيفة بالنظر إلى استمرار نظام الامتيازات الأجنبية فيها ، وبعد نصف قرن من الزمان سنحت الفرصة أيضاً لليابان ، ويومها قال دبلوماسي ياباني مخاطباً العالم الغربي بتهكم : حينما تحقق لكم أننا على الأقل نتساوى معكم في علوم الدمار سمحتم لنا بالجلوس على موائدكم باعتبارنا متحضرين ! وكان ذلك عقب انتصار اليابان على روسيا القيصرية [5] .
ولكن لم يكن يبلغ هذا الضرب من المشاركة على الصعيد الدولي أن يكون حقاً للدول غير النصرانية ، بل كان منتهى أمره أنه عطاء تمنحه الدول النصرانية لغيرها بشروط ، أهمها : أن تكون الدولة التي لا تدين بالنصرانية ذات حضارة ومدنية بمفهومها النصراني ؛ فما زال الفكر الأوروبي أسير الرواسب الاستعلائية التي ورثها عن الأجداد (الإغريق والرومان) التي ظلت عميقة تحت التربة الأوروبية تكشفها عوامل التعرية من حين إلى حين ، كما في تصريح رئيس الحكومة الهولندية حيث يقول عام 1956م : إن الدول المسيحية وحدها هي التي تستطيع أن تميز بين العدل وغير العدل ، وبين الحرب المشروعة وغير المشروعة وتساءل عما إذا كان المسلم أو الهندي يستطيع أن يعي معنى العدوان ، لأن إدراك مثل هذا المعنى قاصر على الدول ذات الثقافة المسيحية ! [6] .
واستغلت الدول النصرانية الأوروبية شعار المدنية لترتكب به أفظع الجرائم على البشرية ، فاحتلت أقاليم الدول الأخرى ، وراحت تستغلها أبشع استغلال ، فتفسد عقائدها وأخلاقها ، وتستنزف خيراتها ومواردها ، وتسخر أبناءها في العمل والصناعة .
وكانت هذه الدول تتسابق فيما بينها على التسلط لتحصل الدولة الكبرى منها على أوسم قطعة في الفريسة الصريعة (من بلدان الشرق الأدنى والأوسط والأقصى) وأذكى ذلك نيران الأخذ بالثأر ، فاندلعت الحرب العالمية الأولى (1914م) التي تعرضت فيها البشرية لأهوال قاسية ، ولما هدأت العاصفة واجتمعت الدول الأوربية في مؤتمر باريس (1919م) ، لإعادة بنيان الدول الذي كان على وشك الانهيار ، عندئذ أصبحت النغمة الجديدة هي السلام الذي يخفي وراءه ما يخفي ، حيث جاء

نظام الانتداب ليُطْلَى به نظام الاستعمار القديم وليخاتل الأمم والشعوب التي وُعدت بالحرية والاستقلال ، فمصر تحت الانتداب الإنجليزي ، وكذلك فلسطين .. وسورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ...

5- وكان من نتائج مؤتمر باريس السابق النص على إنشاء عصبة الأمم المتحدة لتكون أداة لحفظ السلام العام ولتوطيد العلاقات بين الدول ، وتعود الجذور التاريخية لنشوء عصبة الأمم إلى المدرسة الكاثوليكية في الفكر الأوروبي ، التي تعكس الروح أو الطبيعة الرومانية القائمة على العنف وعبادة القوة المادية والتعصب العقدي والروح الصليبية ضد العالم الإسلامي ، ومن دعاة هذه المدرسة بيير ديبو من رجال القانون الفرنسي ، ففي كتابه استرداد الأرض المقدسة يدعو إلى تكوين عصبة أمم تكون قاصرة على الدول الأوروبية وقادرة على محاربة العالم الإسلامي لاسترداد فلسطين من أيدي المسلمين لتكون في يد الأوروبيين .

ثم جاء الوزير الفرنسي سالي سنة 1603م بمشروعه لإنشاء جمهورية مسيحية كبرى تضم شعوب أوروبا المسيحية ما عدا الأرثوذكسية ، ثم جاء مشروع الفيلسوف الألماني ليبتي لتكوين اتحاد بين الدول الأوروبية حتى تتمكن من محاربة الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها بين الدول الأعضاء [7] .

6- ولئن فشلت عصبة الأمم فيما زعمته من حفظ السلام الدولي ، وعصفت بها الأعاصير السياسية الدولية ، فإن التركة آلت إلى هيئة جديدة بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية حين منحت دول مؤتمر سان فرانسيسكو عام 1945م شهادة ميلاد هيئة الأمم المتحدة لتكون محط آمال العالم أجمع ، يتطلع إليها راجياً أن تحقق للمستقبل ما أخفقت عصبة الأمم في تحقيقه في الماضي ، ولكن الهيئة الدولية الجديدة جاءت لتكوين ديكتاتورية من الدول الكبرى لتسيير السياسة العالمية ، ويشهد لهذا : أن الدول الخمس ذات التمثيل الدائم في مجلس الأمن (وهي : الصين وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وروسيا) لكل منها حق الاعتراض على أي قرار يصوت عليه في مجلس الأمن ، وعندئذ يمتنع المجلس من إصداره ، ويصير القرار كأن لم يكن ، مهما تكن أغلبية الأصوات التي وافقت عليه في الأصل ، وواقع الحال كما هو مشاهد منذ نشأتها يؤيد هذا ، فكم من المشاريع والقرارات التي اتخذت من أجل بعض قضايا المسلمين في العالم وما أكثر هذه القضايا ! أو صوت عليها ، فكان أن أخرج أحد الأعضاء الكبار لسانه لذلك القرار فأصبح كأنه لم يكن ! وكم تواطأ الجميع على قضايا المسلمين وتآمروا ضدهم بصورة من الصور ، بل بكل الصور ، أبَعد هذا كله وبعد معرفة أصل ونشأة هذه المنظمات الدولية وجذورها التاريخية والفكرية والسياسية يمكن أن يعلق المسلمون عليها الآمال لتحل مشكلاتهم أو لتنصفهم من المعتدين عليهم ؟ !

وهذه قضية فلسطين ، وقضية البوسنة والهرسك التي يصورون فيها القضية أنها صراع بين المسلمين والصرب (هكذا .. الصرب وليس النصارى ! وحتى في وسائل الإعلام العربية والإسلامية) ، فهذه القضية شاهد ناطق على تآمر الجميع على قضايانا تحت مظلة الأمم المتحدة و القانون الدولي و الشرعية الدولية و حفظ السلام ، ونحن مساكين كم نتهافت على هذا السلام الذليل الرخيص ؟ ، وتلتقي قمة الإمبريالية مع ذروة الشيوعية في هذا التآمر ، فيكتب الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في مجلة الشؤون الخارجية قائلاً : روسيا وأمريكا يجب أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الصحوة الإسلامية [8] .

7- ولكن متى يمكن للمسلمين أن يكون لهم كلمتهم ودورهم في هذه المنظمات الدولية ؟ ومتى يحملون الآخرين على احترامهم وهيبتهم ؟ .. إن ذلك لا يكون إلا عندما يعود المسلمون عودة صادقة إلى مصدر قوتهم وعزتهم ، وهو دينهم الذي

يأمرهم بإعداد القوة بكل معانيها العقدية والأخلاقية والمادية ، عندئذ يُرهبون عدو الله وعدوهم وآخرين من دونهم ، ويقولون كلمتهم المسموعة جهاداً مباركاً في سبيل الله لتحرير البشرية كلها ، مع جهادهم بقتال أعداء الله ، وأظنهم يدركون ذلك كما يدركه غيرهم من الأوروبيين على ما يرويه بعض الكتاب المسلمين الذين التقوهم في مؤتمر دولي سنة 1956م حيث قال مسؤول أوروبي كبير وكان جرح فلسطين حاراً جداً قال : يا سيدي ! أنتم العرب أذكياء ، ولكنكم قوم لا تُخيفون ، حينما يوجد عندكم علماء قادرون على تدمير الأرض في (59) دقيقة كما ادعى الإنجليز بدلاً من (60) دقيقة كما ادعى الأمريكان ، عندئذ يحسب لكم حساب ، أما إذا كنتم بحاجة إلى ألف بندقية لتوزيعها على رجال الشرطة وكنتم مضطرين لشرائها من بلجيكا ثم تَنكُل بلجيكا عن الصفقة وتبقى شرطتكم بلا بندقيات ، فليس من حقكم أن تسألوا العالم أن يعيد إليكم فلسطين ! ! .

وصدق الله العظيم : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. ﴾ [الأنفال : 60]
﴿ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ﴾ [الرعد : 14] .

---

(1) روح القوانين ، لمونتسكيو ، ص 7 .
(2) القانون الدولي العام ، د حامد سلطان ، ص29-30 ، قانون التنظيم الدولي ، د صلاح عامر ، ص 61-62 .
(3) القانون الدولي ، د حسين جابر ، ص 53 ، مصنفة النظم الإسلامية ، د مصطفى كمال وصفي (رحمه الله) ، ص 285 .
(4) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ، للمستشار علي علي منصور ، ص 58-59 .
(5) الشخصية الدولية ، د محمد كامل ياقوت ، ص 277 .
(6) تطور المجتمع الدولي ، د يحيى الجمل ، ص37 وانظر ما كتبه د عبد العزيز سرحان عن تعصب الأوربيين الديني في القانون الدولي في كتابه مبادئ القانون الدولي ، ص 11-13 ، والكاتب النصراني مجيد خدوري في السلم والحرب ، ص377 .
(7) انظر هذه التصريحات في الشخصية الدولية د محمد كامل ياقوت ، ص 882 ، والسلم والحرب لمجيد خدوري ، ص 369-372 .
(8) عن كتاب الحروب الصليبية ، بدوؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن د أحمد شلبي ، ص20 ، وقد جعل العبارة في فاتحة كتابه أيضاً نقلاً عن مجلة الشؤون الخارجية سنة 1985 والكتاب بجملته عرض شامل دقيق للهجمات الصليبية الغربية على العالم الإسلامي عبر العصور و نيكسون نفسه هو الذي قال حين عاد من جولة قام بها في أفغانستان لدراسة الأحوال هناك ، وسأله الصحفيون : ماذا وجدت هناك ؟ قال : وجدت أن الخطر هو الإسلام ! ويجب أن نصفي خلافاتنا مع روسيا في أقرب وقت ؛ فروسيا على أي حال بلد أوروبي ! والخلاف بيننا وبينها قابل للتسوية ، أما الخلاف الذي لا يقبل التسوية فهو الخلاف بيننا وبين الإسلام انظر : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر للأستاذ محمد قطب (حفظه الله) ، ص161 .

المجاهدون .. هل ينقذون إرتريا ؟ ! [*]

قال (تعالى) : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ [الأنفال : 39] ، لقد شهدت الساحة الإرترية في هذا العام تحولاً كبيراً لصالح المجاهدين بفضل الله ، حيث منيت الجبهة الشعبية بهزائم متتالية إثر ضربات المجاهدين المتوالية التي أسفرت عن استيلاء المجاهدين على الكثير من معسكراتها ، كما اضطرتها إلى الانسحاب من معظم الريف الإرتري ، وقد اتسع نطاق تحرك المجاهدين ليشمل معظم أقاليم إرتريا بما في ذلك إقليم (سراي) ، وصارت المبادرة بيد المجاهدين ، وأصبحت أخبار الجهاد وانتصارات المجاهدين حديث الناس في كل بقاع إرتريا .

وبعد أن سجلت حكومة أفورقي إخفاقاً وفشلاً ذريعاً في شتى المجالات

العسكرية والسياسية وغيرها : لجأت إلى وسائل العجز والخور ، وكان آخرها حملة الاعتقالات الواسعة التي شملت العاصمة (أسمرا) وكلاً من مدينتي (كرن) و (قندع) ومناطق أخرى .

وكانت تلك العملية أشبه بعمليات الاختطاف ، حيث نفذت في جنح الظلام من قِبَل كوماندوز صرب إرتريا وفي حالة من التنكر والتستر التام ، وما زال مصير المعتقلين مجهولاً ويكتنفه الكثير من الغموض ، وتفيد المعلومات أن الذين تم اختطافهم أكثر من مائة معتقل ، معظمهم من الدعاة والمعلمين وأعيان ووجهاء المسلمين في تلك المدن .

يا جماهير شعبنا المسلم .. ويا أنصار الجهاد المبارك .. إن هذه الأحداث ما هي إلا حلقة من حلقات ذلك المخطط الصليبي الذي انتهجته الجبهة الشعبية في حرب الإسلام والمسلمين منذ قيامها ، وحتى تتضح الأمور وينكشف ذلك المخطط لابد من ذكر بعض ممارسات الجبهة الصليبية الحاكمة في إرتريا :

فعلى الصعيد الداخلي :

1- حاربت اللغة العربية وأقصتها عن مناهج التعليم وعن المعاملات الرسمية، واعتبرتها لغة أجنبية .

2- حاربت الدعوة والدعاة ، وأغلقت المعاهد الإسلامية وسعت في تحويلها إلى مدارس علمانية ، واستخدمت في تنفيذ ذلك شتى وسائل الإرهاب من الاقتحام العسكري لتلك المعاهد واعتقال الدعاة والمعلمين وقتل بعضهم ... إلخ .

3- تشجيع النصارى للعودة إلى إرتريا ، وتمليكهم أراضي المسلمين السكنية والزراعية ، في الوقت الذي تسعى فيه للحيلولة دون عودة المسلمين من أرض المهجر .

4- انتهاك أعراض المسلمين وإفساد المجتمع ، وقد مارست ذلك بالأمس تحت مظلة التجنيد الإجباري ، وتمارسه اليوم حكومة أفورقي بحجة الخدمة الوطنية، مما اضطر بعض الأسر المسلمة إلى الهجرة من جديد .

5- القيام بالتحريش بين القبائل المسلمة وإثارة الفتنة بينها ، ومحاولة الإيقاع بين القبائل الحدودية ، وممارسة سياسة فرق تسد بين المسلمين .

هذه بعض ممارسات الجبهة الصليبية في الداخل ، وأما على الصعيد الخارجي :

1- فقد قامت بتوطيد علاقاتها مع إسرائيل والدول النصرانية والسماح لها بإقامة المشروعات الاستثمارية ، والقواعد التجسّسية ، وفتحت المجال على مصراعيه للمنظمات التنصيرية .

2- تنكرت للدور العربي في القضية الإرترية ، وعملت على سدّ كل أبواب التعاون معها ، ورفض جميع مبادرات الجمعيات والمنظمات الخيرية للإسهام في تقديم الخدمات للمجتمع الإرتري ، واتهامها بأنها مصدر للفتن ، وكان من تصريحات أفورقي أن قال : لسنا عرباً ، ولسنا بحاجة إلى دعم العرب ، وستأتينا أموالهم عن طريق الغرب ! ! .

3- وأخيراً : توج أفورقي الصليبي مواقفه تلك بقطع العلاقات الدبلوماسية مع السودان الشقيق ، ذلك البلد الذي آوى الشعب الإرتري وثورته خلال الثلاثين عاماً السابقة ، وقاسمه لقمة العيش ، وناصر قضيته حتى الاستقلال ، فجاء أفورقي ليكافئه بقطع العلاقات الدبلوماسية واحتضان المعارضة السودانية ، حيث جعل من (أسمرا) مقراً لاجتماعاتهم ، وأصبح يهدد أمن السودان من خلال التلويح بدعم تمرد قبائل البجة تارة [**] ، وباستعداء أسياده الصليبيين تارة أخرى .

قال (تعالى) : ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ [التوبة : 12] .

لقد بات جلياً من خلال تلك الممارسات والمواقف التي أجملناها في هذا البيان بأن ما يحدث إنما هو جزء من المخطط الصليبي العالمي الذي يستهدف استئصال شأفة الإسلام والمسلمين ؛ فصرب في البوسنة ، وصرب في الشيشان ، وصرب في إرتريا ، وصرب في كشمير ، وصرب في جنوب السودان .. وكلهم منطلقون من خندق واحد ، ومن منطلقات حاقدة .

ومن هنا نوجه نداءنا إلى كافة الشعوب المسلمة أن استجيبوا لداعي الجهاد وحماية بيضة الإسلام ؛ قال (تعالى) : ﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ [النساء : 75] .

وهكذا ، فإن أعداء الإسلام يرموننا عن قوس واحدة ، فلنرمهم عن قوس واحدة ، قال (تعالى) : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [التوبة : 36] .

وليعلم أفورقي وعملاؤه أن الشعوب المسلمة لا يحدها حدود ، وأن بيضة المسلمين واحدة ، وأن المجاهدين في إرتريا له بالمرصاد ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

وفي الختام : نهيب بكافة جماهيرنا المسلمة ، وبأنصار جهادنا المبارك في كل مكان : أن يناصروا حركة الجهاد الإسلامي الإرتري دعماً وتأييداً حتى نتمكن من صد تلك الهجمة الصليبية المدعومة ، ونرد كيد أعدائنا ونحمي بيضة الإسلام في المنطقة ، ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ .

(*) عن بيان حركة الجهاد الإسلامي الإرتري بتصرف يسير .
(**) البجة اسم يطلق على قبائل بني عامر و الهدندوه ، وهي قبائل رعوية تعيش على جانبي الحدود السودانية الإرترية ، وقد أقام أفورقي معسكر تدريب غرب إرتريا ضم فيه بعض العناصر المشاغبة من تلك القبائل لبث فوضى في ذلك الجزء من السودان ، وبالتالي إرهاق الحكومة السودانية تنفيذاً لتوجيهات أسياده .

في دائرة الضوء

فن إدارة الوقت

أعمارنا .. كم نستغل منها ؟ وكم نضيع ؟

عبد الله آل سيف

هذا الموضوع يهم طائفة من الناس ، وهم الذين يشعرون أن الوقت المتاح لا يكفي لقضاء كل الأعمال والطموحات التي يريدونها ، وبالتالي : فهم بحاجة ماسة إلى قواعد في فن إدارة الوقت ، إذن ... فهذا الموضوع يهم أصحاب الطموحات والمشاريع والهمم العالية ، أصحاب الإبداع والابتكار .

وفي الحقيقة فإن أصحاب الهمم العالية يشكون من ضيق الوقت ، وهذه الشكوى ، وإن كانت صحيحة من جانب لقصر أعمار بني البشر ، إلا أنها ليست صحيحة من جانب آخر .

ووجه ذلك : أن المشكلة ليست في الوقت فحسب ، ولكن المشكلة تكمن أيضاً في طريقة إدارة الوقت بفعالية ونجاح ، ولذا : تجد من الناس من يستطيع بحسن إدارته لوقته أن يعمل الشيء الكثير .

ولسنا بصدد الحديث عن أهمية الوقت ؛ لأن هذا موضوع آخر وفيه من النصوص الشرعية وكلام السلف والعلماء والحكماء ما يضيق عنه المقام [1] .

لكن سنعرض إحصائية دقيقة تبين أهمية العمر والحرص عليه بما يثير الغيرة لدى الإنسان المسلم .

لنفرض أن الإنسان يعيش عمراً افتراضياً مدته سبعون سنة ، فإذا ضيع الإنسان خمس دقائق يومياً فإن هذا يعني أنه أضاع من مجموع العمر كله ثلاثة أشهر تقريباً (88 يوماً) ، وهذا الجدول يوضح المسألة أكثر فأكثر .

الوقت من اليوم	مجموع الوقت من العمرالافتراضي	النسبة المئوية
- خمس دقائق	ثلاثة أشهر	%0.35
- عشر دقائق	ستة أشهر	%0.71
- عشرون دقائق	سنة كاملة	%1.42
- ساعة كاملة	ثلاث سنوات	%4.28
- عشر ساعات	ثلاثون سنة	%42.85

ثم إذا نظرت إلى مجموع الأنشطة التي تستهلك الوقت تجد أنها كثيرة جداً ، وهي وإن كان بعضها ضرورياً لكن بعضها الآخر غير مفيد وغير فعال .

وهذا يتضح في الجدول التالي :

نوع النشاط	**ما يستغرقه بالسنوات**	**النسبة المئوية من العمر كله**
النوم، بمعدل ثمان ساعات يومياً	23	%32
العمل، (من 7-2.5) يومياً	21.5	%30.7
الأكل والشرب، بمعدل ساعة ونصف يومياً	4.5	%6.4

نوع النشاط	**ما يستغرقه بالسنوات**	**النسبة المئوية من العمر كله**
- الأعمال المعتادة والمراجعات الحكومية (بمعدل نصف ساعة)	1.5	%2.14
- الأعمال المنزلية والرحلات والتنزه (بمعدل ساعة واحدة يومياً).	3	%4.28
- اللقاءات الاجتماعية والودية بين الأصدقاء (بمعدل نصف ساعة يومياً).	1.5	%2.14
- التنقل من مكان لآخر (بمعدل نصف ساعة يومياً).	1.5	%2.14
- الاتصالات الهاتفية (بمعدل نصف ساعة يومياً).	1.5	%2.14

المجموع	61 سنة	%87
الباقي	9 سنوات	%12.85

فإذا حذفت من ذلك فترة المراهقة وزمن الطفولة فكم يا ترى يبقى من الوقت للمشاريع الطموحة والأعمال الكبيرة ، والأهداف النبيلة .

ولا ننسَ أن هذه التقديرات هي متوسط الوقت الذي يقضيه عامة الناس مع إمكانية أن يكون هناك إنسان يزيد على هذا المتوسط من الوقت المبذول لكل نشاط ، كما أن هناك مَن ينقص من هذا ويكون شحيحاً بوقته إلى درجة الاقتصار على أقل قدر ممكن مما يستحقه كل نشاط .

أقسام الوقت :

1- الوقت المادي الميكانيكي : وهو مقياس لحركة جسم مادي بالنسبة لجسم مادي آخر ، كالفترة التي تستغرقها الأرض في الدوران حول الشمس ، ووحدات هذا القسم : الثانية ، والدقيقة ، والساعة ، واليوم .

2- الوقت البيولوجي : وهو الوقت الذي يقاس فيه تطور الظواهر البيولوجية ونموها ونضجها وكمالها ، ووحدته هي الجسم نفسه ، فقد يكون لطفلين عمر زمني واحد كتسع سنوات مثلاً ، لكن أحدهما أكثر نضجاً من الآخر من حيث الطول وكمال الجسم وتناسقه .

3- الوقت النفسي : وهو نوع آخر من أنواع الشعور الداخلي بقيمة الوقت ، حيث يؤثر الحدث النفسي في ذلك إذا كان سعيداً أو سيئاً أو خطراً أو مهماً ، فتبدو الدقائق في الحدث السيء كأنها ساعات ، وتبدو الساعات في الحدث السعيد كأنها دقائق .

4- الوقت الاجتماعي : وهو الوقت الذي يربط فيه تقدير الوقت بأحداث اجتماعية مهمة إما عالمية أو محلية ، ولذا : نسمع كبارالسن يؤرخون بحياة فلان وفلان [2] .

قواعد إدراة الوقت :

* القاعدة الأولى :

تحديد الأهداف والأولويات : هناك مثل قديم ساخر يقول : عندما لا تعرف أين تتجه فإن كل الطرق توصلك ، وتحديد الهدف أمر على قدر كبير من الأهمية .

وللأسف فإن من التخلف الحضاري الذي تعيشه الأمة ما يمكن أن نسميه بأزمة الهدف أو غياب الأهداف وخاصة الأهداف الوسطى التي تخدم الهدف الأعظم [3] .

- أقسام الأهداف :

يمكن أن تقسم الأهداف إلى ثلاثة أقسام :

1- الهدف الأكبر : وهو أهم هدف يسعى له الإنسان ونجد ما عداه من الأهداف تخدم هذا الهدف ، وهو بالنسبة للإنسان المسلم : تحقيق العبودية لله (عز وجل) ، وبالنسبة للماديين : تحقيق أكبر قدر ممكن من اللذة والمصلحة والمتعة .

2- الأهداف الوسطى : وهي مجموعة من الأهداف تخدم الهدف الأكبر ؛ مثالها بالنسبة للإنسان المسلم : الدعوة إلى الله ، الصلاة ، طلب العلم ، بر الوالدين .... الخ .

3- الأهداف الصغيرة : وهي ما يمكن أن يعبر عنها بأنها مجموعة من الوسائل التي تخدم الأهداف الوسطى ؛ مثالها : طلب العلم هدف أوسط وهناك

مجموعة من الوسائل والطرق والوسائل لتحقيقه .
علماً بأن كل هدف هو بالنسبة لما فوقه وسيلة وبالنسبة لما تحته هدف .
وبناء على هذا التقسيم : تكون هذه الأهداف على شكل هرم ، حيث يتبوأ الهدف الأعظم القمة وتليه الأهداف الوسطى الخادمة له ، ثم تمثل الأهداف الصغيرة قاعدة الهرم .

- تدوين الأهداف :

1- دون أهدافك بنفسك أو بالتعاون مع المجموعة التي تعمل معك في نفس القطاع أو المؤسسة .
2- احرص على كتابتها ؛ فهذا أدعى لعدم نسيانها .
3- لاحظ أن تكون الأهداف ذات معنى سامٍ قابل للنمو والتطور ، وينم عن همة عالية .
4- الاهتمام في سبيل تحقيق الهدف بالكيف لا بالكم .
5- الوضوح في صياغة الأهداف .
6- أن تكون الأهداف واقعية وممكنة التحقيق [4] .

- معايير خاطئة لتحديد أولويات العمل :

1- إذا كنت تقدم العمل الذي تحبه على العمل الذي تكرهه .
2- إذا كنت تقدم العمل الذي تتقنه على الذي لا تتقنه .
3- إذا كنت تقدم العمل السهل على العمل الصعب .
4- إذا كنت تقدم الأعمال ذات الوقت القصير على ذات الوقت الطويل .
5- إذا كنت تقدم الأعمال العاجلة على غير العاجلة وإن كانت مهمة [5] .

*** القاعدة الثانية :**

تسجيل الوقت وتحليله : الكثير من الناس يجهلون كيف يقضون أوقاتهم ، ولذا: نجد البون شاسعاً بين ما يفعلونه في الواقع وبين ما يريدون أن يفعلوه ، فإذا كان ما يريد أن يفعله الواحد منهم من الأنشطة يستغرق 90 (نقطة) يجد أن ما يفعله في الواقع لم يتجاوز 10 (نقاط) مما يريد أن يفعله ، وهذا يعني التقصير في أداء بعض الأنشطة أو عدم فعلها نهائياً .
المعلومة الدقيقة في تحليل الوقت وتسجيله تقود إلى تعريف دقيق للمشكلات ومضيعات الأوقات ، ومن ثم : تساعد على التخطيط السليم لقضاء الوقت [6] .

- أنواع تسجيل الوقت :

1- السجل اليومي للوقت : يركز فيه على الوقت تحديداً ، والمكان ، ونوع النشاط ، وترتيب الأنشطة في الأهمية .
2- السجل الشهري : يركز فيه على الوقت ابتداءً وانتهاءً ، والتاريخ ، وكيفية قضاء النشاط ، منفرداً أو في اجتماع ، ومكان النشاط وأهميته .
3- سجل ملخص الوقت : يركز فيه نوع الأنشطة ، مجموع الوقت المخصص لكل نشاط في السنة كلها بالنسبة المئوية ، ومن ثم المقارنة بين الأهمية والنسبة المئوية المخصصة له [7] .

*** القاعدة الثالثة :**

التخطيط لقضاء الوقت : كثير من الناس يحب أن يعمل أكثر من محبته أن يفكر ، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه صواب .
والسر في ذلك أن الإنسان فيه غريزة حب الإنجاز والعجلة ومحبة رؤية ثمرة العمل مبكراً ، والعمل يشبع هذه الغريزة ، بخلاف التخطيط والتفكير فنتائجه ليست مباشرة ولا تظهر إلا بعد فترة من الزمن .

والعمل بدون تخطيط يأخذ وقتاً أطول مما يستحق ، بخلاف العمل المخطط له فهو يأخذ أقل قدر ممكن من الوقت لهذا العمل .

ولذا : فإن مضيعات الوقت تعترض بكثرة من لا يخطط لوقته ، ومن ثم : فهو لم يخطط لإيجاد حلول لها ، ولذا يضيع وقته .

ومن يعمل العمل بدون تخطيط تقنعه أقل النتائج الحاصلة ، بخلاف من يخطط فإنه لا يرضى إلا بأكبر قدر ممكن من النجاح [8] .

-كيف نخطط ؟ :

1- حدد الأهداف ورتبها حسب الأهمية والأولوية .

2- فكر في الخيارات المطروحة لتحقيق الأهداف واختر أحسنها ثم حدد الوقت بالدقة لتنفيذ الطريقة .

3- حدد المكان المناسب للجميع لتنفيذ العمل .

4- فكر فيمن يقوم بالعمل أنت أو غيرك ومن هو الأصلح في ذلك .

5- افترض حدوث مضيعات للوقت ، ومن ثم ابحث لها عن حلول .

6- تجنب الارتجالية في وضع الخطة .

7- لا تعط أي نشاط أكثر من الوقت الذي يستحقه ، إذ إن إعطاءه ذلك يعني أن العمل الصغير سوف يتمدد ليملأ الوقت المتاح مع إمكانية الاختصار في الوقت .

8- ضع احتياطات عند فشل النشاط لاستثمار الوقت ، فمثلاً عندما يتخلف الطرف الآخر عن الموعد ، يفترض أن تستفيد من الوقت وتستثمره في شيء آخر.

9- حاول أن تجمع الأعمال المتشابهة لتقوم بها دفعة واحدة ، مثل : إجراء عدة اتصالات هاتفية .

10- تذكر أن بضع دقائق من التفكير توفر بضع ساعات من العمل الشاق ، وكما تقول بعض النظريات : إن 80% من الإنتاج تنبع من 20% من العناصر [9] .

* القاعدة الرابعة :

التفويض والتوكيل : يعتبر التوكيل الجيد من الأساليب الناجحة لحفظ الوقت ، وذلك لأنك تضيف بأوقات الآخرين وقتاً جديداً إليك ، وتكسب عمراً إلى عمرك المعنوي .

- أسباب الإعراض عن التفويض :

1- المركزية التي يتشبع بها بعض الأشخاص ، حيث لا يثق الشخص بأحد البتة ، وأضرار هذه المركزية تظهر عندما يصيب الشخص مرض قاهر أوظرف طارئ حيث يتعطل العمل بدونه .

2- الرغبة في تحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح .

وهذه نظرة قاصرة ، لأن النظرة البعيدة تقضي بأن التفويض وسيلة ناجحة لاحتمال أن يكون المتدرب فيما بعد مثلك في الأداء أو أحسن منك أحياناً ، وبالتالي تحافظ على وقتك وتنجز أكثر [10] .

* القاعدة الخامسة :

مضيعات الوقت : مضيعات الوقت داء عضال يشكو منه كل حريص على وقته ، وهي قسمان :

1- داخلي من الإنسان نفسه ، وينبع هذا غالباً من عدم التخطيط السليم .

2- خارجي من الآخرين : الأسرة والمجتمع .

ومضيعات الوقت قد تكون أموراً نسبية ، فمثلاً : قد يأتيك زائر ثقيل الظل بدون ميعاد ، ويقتطع جزءاً ثميناً من وقتك ، فبينما تشعر أنك على جمر تتلظى ،

يشعر هو في المقابل بسعادة غامرة وانطباع جيد عن هذا اللقاء .

-مضيعات الأوقات :

1- اللقاءات والاجتماعات غير المفيدة سواءً أكانت عائلية أو غيرها .
2- الزيارات المفاجئة من الفارغين .
3- التردد في اتخاذ القرار .
4- توكيل غير الكفء في القيام بالأعمال ، وهو ما يسمى بالتفويض غير الفعال .
5- الاتصالات الهاتفية غير المفيدة .
6- المراسلات الزائدة عن الحد .
7- القراءة غير المفيدة ، ويدخل فيها فضول العلم عند تقديمها على الفاضل .
8- بدء العمل بصورة ارتجالية بدون تخطيط ولا تفكير .
9- الاهتمام بالمسائل الروتينية قليلة الأهمية .
10- تراكم الأوراق وكثرتها وعدم ترتيبها .
11- عدم القدرة على قول لا ، أو ما يمكن أن نسميه بالمجاملة في إهداء الوقت لكل من هب ودب .
12- التسويف والتأجيل [11] .

- كيفية السيطرة على مضيعات الوقت :

1- اجمع البيانات اللازمة عن مضيعات الوقت .
2- حدد سبب تضييع الوقت بدقة .
3- ضع عدداً من الحلول لكل مضيع للوقت ثم اختر أنسبها .

علماً بأن السيطرة على مضيعات الوقت لا يعني بالضرورة إزالتها بالكلية لأن بعض هذه المضيعات ضروري ومهم ، ولكن لابد من السيطرة عليه بدلاً من السيطرة علينا .

وقد ذكر المصنفون في هذا الباب حلولاً مستقلة لكل مضيع من المضيعات لم نر متسعاً لذكرها هنا لكثرتها .

إلماحات مهمة :

1- إدارة الوقت الناجحة لا تعني بالضرورة تخفيض الوقت اللازم لتنفيذ كل نشاط معين ، بل تعني قضاء الكمية المناسبة منه لكل نشاط .
2- يستحيل أن تكون جميع الأعمال في درجة واحدة من الأهمية ، وهذا يعني أنه لابد من ترتيب الأولويات .
3- عالج مضيعات الوقت بحلول جذرية لا وقتية .
4- تحكم في الوقت المتاح ولا تترك الوقت هو الذي يتحكم فيك ، فبادر بالأعمال وانتهز الفرص .
5- إنما تكمل العقول بترك الفضول ؛ الفضول في القول أو الفعل [12] .
6- ساعة وساعة : ينبغي للإنسان أن يجعل جزءاً من وقته للترويح عن نفسه لأن القلب إذا كلّ عمي ، وينبغي أن يكون الترويح بشيء مفيد كقراءة الأدب والشعر والتاريخ ، أو الرياضة المفيدة للجسم كالسباحة ؛ قال أبو الدرداء : إني لأستجم قلبي بالشيء من اللهو ليكون أقوى لي على الحق [13].
7- وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام [14]
أصحاب الهمم العالية والمشاريع الطموحة يتعبون أجسامهم ولا تكفيهم الأوقات المتاحة لتحقيق كل طموحاتهم .
8- لكل وقت ما يملؤه من العمل ؛ بمعنى أن لكل وقت واجباته ، فإذا فُعلت في غير وقتها ضاعت [12].

9- الوقت قطار عابر لا ينتظر أحداً ، فإن لم تركبه فاتك .

10- تذكر أن أهـم قاعدة في إدارة الوقت هي الانضباط الذاتي النابع من إرادة جبارة عازمة على الحفاظ على وقتها متخطية كل العقبات التي تعترض طريقها .

11- اعمل بطريقة أذكى لا بمشقة أكثر كانت هذه العبارة هي شعار الجمعية الأمريكية لتقويم المهندسين كمحاولة منها للتمييز بين الشغل والانشغال ، وهي تشير إلى التخطيط السليم لكل عمل تعمله [15] .

وختاماً أقول : إن من نعمة الله (تعالى) علينا أيضاً أن نوّع لنا العبادات كي نختار منها ما تقوى عليه نفوسنا ، فإذا مللنا نوعاً انتقلنا إلى آخر ، فلله الحمد والشكر على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

---

(1) انظر مثلاً : كتاب قيمة الزمن عند العلماء ، عبد الفتاح أبو غدة ، وكتاب : سوانح وتأملات في قيمة الزمن ، خلدون الأحدب ، وغيرهما .
(2) انظر : كتاب أفكار رئيسية في إدارة الوقت ، محمد المدني البخاري ، ص (12-17) .
(3) إدارة الوقت د نادر أبو شيخة ، 95 .
(4) إدارة الوقت : د نادر أحمد أبو شيخة ، 98 ، إدارة الوقت ، لمجموعة من الباحثين : ترجمة د وليد عبد اللطيف هوانة ، 347 .
(5) إدارة الوقت : د نادر أحمد أبو شيخة ، 101 .
(6) إدارة الوقت : ترجمة د وليد عبد اللطيف هوانة ، 237 - 244 .
(7) أفكار رئيسية في إدارة الوقت ، 25 ، إدارة الوقت - أبو شيخة ، 81 ، إدارة الوقت ، د وليد هوانة ، 225 .
(8) انظر : إدارة الوقت ، ترجمة وليد هوانة ، 45 ، إدارة الوقت ، د أبو شيخة ، ص109 .
(9) إدارة الوقت ، د أبو شيخة 114 ، أفكار رئيسية في إدارة الوقت ، 53 .
(10) إدارة الوقت ، هوانة ، 377 - 440 ، إدارة الوقت ، أبو شيخة ، 239 .
(11) أفكار رئيسية في إدارة الوقت ، 40 ، إدارة الوقت ، د أبو شيخة ، 125 .
(12) سوانح وتأملات في قيمة الزمن ، لخلدون الأحدب ، 53 - 66 .
(13) بهجة المجالس لابن عبد البر ، 1/115 .
(14) ديوان المتنبي ، 201 .
(15) أنجز أكثر واعمل أقل ، بحث قدمه جون هـ شريدان ، ضمن مجموع البحوث المترجمة ، ترجمة وليد هوانة ، ص 327 ، وإدارة الوقت ، أبو شيخة ، 26 .

مساحة للحوار

بين أهل الفكر وأهل الإدارة

جمال سلطان

هل أصبحت المشكلة مزمنة إلى هذا الحد ، الذي يضطرنا إلى بسطها عبر صفحات منابرنا الإعلامية ؛ من جانبي وعلى مسؤوليتي الشخصية أجيب بالإيجاب: نعم ؛ إن هناك مشكلة داخل إطار العمل الإسلامي ، سواء أكان هذا الإطار جماعات أو حركات أو أحزاباً أو مؤسسات ، وتجاهل هذه المشكلة في تقديري أمر غير صحي وغير مفيد ، وإن كان يخفي ضجيج المشكلة حيناً من الوقت إلا أنه لن يستطيع أن يخفيها طول الوقت ، كما أن هذا التجاهل يراكم من آثار المشكلة ويعزز من خنادق كل فريق من فرقائها .

وبداية ، أود التمهيد المختصر للمشكلة : بتحرير مفرداتها ، ووجه الخلاف بين أطرافها ، فالمقصود بأهل الفكر : القطاع الإسلامي المشتغل بقضايا الفكر الدعوي : مفكرون ، ودعاة ، وكتاب ، وصحفيون ، وأكاديميون ، وعلماء ، والمقصود بأهل الإدارة : أولئك المتميزون بمهارات التنظيم والإدارة والإشراف على خطط الأداء الوظيفي في المؤسسات أو الجماعات أو الأحزاب أو نحوها .

ووجه الخلاف يمكن تبسيطه في أن بعض أهل الفكر دائمو الشكوى مما قد يبدو لهم كجبروت وسوء تقدير يلقونه من أهل الإدارة ، ونزعات هيمنة تعوق انطلاقة الجهد الفكري ، وتجتهد لتقنينه وضغطه في قوالب معينة ، ويصل الاتهام أحياناً إلى حد القول بتحقير الجهود الفكرية إلى جانب الجهود الإدارية ، والنظر إلى المفكر أو الداعية كموظف في جهاز إدارة ، الأمر الذي يمس كرامة النشاط الفكري والدعوي وأصحابه ، ويطفئ جذوة التأمل والتفكير ووهج النشاط والتجدد في نفس الداعية والمفكر ، ويحبط بالتالي أي معنى للعطاء الفعال الرائد في هذا المجال .

على الجانب الآخر قد ينظر أهـل الإدارة بشيء من القلق والضجر أيضاً إلى أهل الفكر ، ويرون أنهم يغالون في شعورهم بالتميز ، ويبالغون في حساسيتهم من الانضباط و التأطير ويزدرون العمل الإداري .

ولاشك أن الجهود الفكرية والجهود الإدارية ، هما بمثابة جناحي الطائر طائر العمل الإسلامي العام الذي إذا أصاب الخلل أحد جناحيه ، فقد أصابه في صميمه .

ولاشك أيضاً ، في أن كلا الطرفين في حاجة ماسة إلى وجود الطرف الآخر ، بل وإلى تعزيز دوره ، ومساعدته بكل سبيل من أجل تحقيق الخير العام للعمل الإسلامي ، فالمفكر بدون القاعدة الإدارية أشبه بالطائرة التي فقدت الاتصال بمحطتها الأرضية ، كما أن الإدارة في مجال العمل الإسلامي بدون المفكر الداعية ، تنتهي إلى آلية منغلقة ورقابة وظيفية مملة ، تعجز عن ريادة الواقع ، واستشراف آفاق العمل ومستقبله .

وهذه المشكلة في الحقيقة ليست خاصة بالمجال الإسلامي وحده ، بل هي شائعة في المجتمع الإنساني بوجه عام ، وإذا كان الغرب قد استطاع إلى حد كبير حل هذه المشكلة في إطار منظومته الحضارية فإن الشرق بوجه عام مازال عاجزاً عن إيجاد الحلول الواقعية والجادة لهذه المشكلة ، كما أن هذه المشكلة ، بارتباطها المباشر وغير المباشر بمنظومة القيم والشرائع والمرجعية العليا للمجتمع ، هي غير قابلة لمبدأ استيراد الحلول ، فالحل الذي نجح في الغرب وهو حل يطول شرحه ولا يناسب المقام بسطه لا يصلح بتمامه وكماله في مجال العمل الإسلامي ، ويصبح من المحتم علينا بسط المسألة للحوار الهادف البنّاء الصريح ، وبذل الجهود الجادة من أجل ضبط العلاقة المتوترة بين الجهتين ، لوقف نزيف الطاقات الإسلامية ، وبناء منظومة إسلامية تكاملية متضامنة .

وحتى يتم هذا الحوار ، أرى أن أهم أسباب الجمود الذي تشهده قطاعات كبيرة من العمل الإسلامي ، إنما يعود إلى إهمال الجانب الفكري ، ووضع أصحاب الفكر والدعوة في الصفوف الخلفية من مسيرة العمل ، وضعف الإحساس لدى بعض العاملين بأهمية هذه الجهود الفكرية والدعوية وقيمتها في تجديد نشاط الدعوة وفتح آفاق جديدة أمام طاقاتها فضلاً عن الدفاع عن مكتسباتها وصد الغارات الفكرية والإعلامية والثقافية العديدة التي تنهش في جسد الصحوة ومؤسساتها وتياراتها فضلاً عن ترشيد الصحوة ذاتها من خلال رصد وتحليل فعلها في الواقع ، وتقويمه ، وطرح الأفكار الجديدة التي تحرك النشاط نحو الأفضل والأكثر رشداً وإنجازاً .

إن قيمة الداعية أو المفكر ، والنشاط الذي يصدر عنهما ، يرتبط ارتباطاً حميماً بوضعهم في مسيرة العمل كرواد للطريق ، يستطلعون ما وراء الأكمة ، وينذرون القافلة ، ويحدون الركب ، فإذا ما أهملتهم القافلة ، أو وضعتهم في مؤخرة الركب ، فلاشك أن الخسارة تكون فادحة ، والمسيرة تصبح مغامرة في متاهة ، ووراء ذلك كله يصبح النشاط الفكري والدعوي عديم القيمة ، وعديم الفاعلية ، ويتحول وجوده في المسيرة إلى مجرد تحفة فنية تكمل جمال الديكور ! .

منتدى القراء

اليهود المسالمون ! ! وأطماعهم

فهد سعود المحمود

الحقيقة التاريخية الثابتة ، الواضحة وضوح الشمس ، هي الحقد اليهودي الدفين على الإسلام والمسلمين ، وقد كان لليهود مواقف عدائية كثيرة مع المسلمين ابتدؤوها مع الرسول الكريم على الرغم من صدق نبوته -صلى الله عليه وسلم- عندهم [1] ، ولما تكررت محاولات اليهود الغادرة أيام الرسول ، أمر -صلى الله عليه وسلم- بإجلائهم خارج المدينة ، وأجلوا عن مساكنهم إلى مدينتي تيماء وخيبر [2] في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام : هل نسي اليهود في العصر الحديث ذكرى سكن أجدادهم في يثرب المدينة المنورة وخيبر ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول :

... عندما سقطت القدس القديمة بأيديهم عام 1967 م ، دخلها وزير دفاعهم موشيه دايان في صحبة الحاخام الأكبر شلومو غورين ، وبعد أدائهم صلاة الشكر عند حائط البُراق قال فيهم : اليوم فُتح الطريق إلى بابل ويثرب ، وتعالت هتافات النصر التي رددها يهود المنتصرون يا لثارات خيبر . وتقول رئيسة الوزراء آنذاك جولدا مائير - وهي في (إيلات) على خليج العقبة - : إني أشم رائحة أجدادي في خيبر [3] .

ومن المؤلم حقاً أنهم بعد احتلال القدس بدؤوا خطة ماكرة ، فلم يتركوا أسلوباً إلا واتبعوه (وعد ووعيد - إغراء وتهديد) ، حاولوا انتزاع الزاوية الفخرية دار أبي السعود في القدس وهي ملاصقة للجهة الغربية لسور المسجد الأقصى لكي يهدموها للبحث عن أساس هيكلهم - المزعوم - وطلبوا إلى أرملة الشيخ حسن أبو السعود (رحمه الله) أن تبيعهم الدار بالثمن الذي تريد أو أن تختار داراً سواها في أي مكان آخر تحدده ، فرفضت وأصرت على الرفض ، فأخرجت منها بالقوة ، وقامت الجرافات بهدم الدار ... لم تقبل هذه العجوز العروض حفاظاً على الأرض الإسلامية التي فرط فيها الأبناء مقابل حكم ذاتي محدود وهزيل ! ! .

قطوف

حذر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الجدال والخصومات في الدين فقال في ذلك : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ هذه الآية ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ ، وروى الإمام مالك : ذروا المراء ، فإن المراء لا تؤمن فتنته ، ذروا المراء ، فإن المراء يورث الشك ويحبط العمل ...

عن كتيب الجدال في الدين ، د/ أحمد خضر ، من سلسلة (من التراث).

---

(1) أي : في كتبهم قبل التحريف .
(2) تيماء وخيبر تقعان في شمال المملكة العربية السعودية حالياً .
(3) إسماعيل الكيلاني : لماذا يزيفون التاريخ ؟ ، ص 34-35 .

الورقة الأخيرة

غزو .. وثلاث حقائق

د .محمد بن ظافر الشهري

لم يعد التنكيل بالمسلمين مقصوراً على دول أو عقائد بعينها ، بل لم يعد مقصوراً على الكافرين كفراً أصلياً ، ولهذا فقد أصبح الحديث عن الطعنات المتتالية في جسد أمتنا أمراً لا يدعو إلى العجب .. وإن كان يحمل معه الكثير من المرارة والحرقة .

إن من نافلة القول أن أتحدث عن وحشية الروس وهمجيتهم فإن لهم القدح المعلى في تلكم الرذائل وليس في هذا تنقص للمنافقين وصنوف الكافرين ؛ فهم في حربهم للمسلمين كأفراس الرهان .. كل أمة منهم تلعن أختها .. ! ! ولكنني أذكر هنا بثلاث حقائق ينطلق بها هذا الغزو الهمجي .

أيها المسلمون .. لقد آن لكم أن تعوا أن القوى العظمى ما هي إلا أصنام صاغها خيال الجبناء الذين أصابهم الوهن فاختل إيمانهم بالغيب ويئسوا من نصر الله .. فجمع الله لهم هزيمتين : ظاهرة وباطنة .

إن شعباً قليل العدد والعدة ، محاصراً من كل جانب ، قد خذله أهله قبل أعدائه .. لَيُقَدم أوضح البراهين على شدة بأس المؤمن ، حين يُبْلِي هذا البلاء في وجه قوة من أعتى قوى الكفر في هذا الزمن ! !

وحقيقة أخرى .. أهديها إلى دول الكفر بهذه المناسبة .. أيتها الدول المتحظرة .. لن تكوني أحسن حالاً من فارس والروم ، فقد حاولت الأوعال قبلك أن تنطح صخرة الإسلام ، فسجلت كتب التاريخ نتائج تلكم المحاولات ، فراجعيها إن شئت .

أما الحقيقة الثالثة .. فهي من نصيب أصحاب الدرك الأسفل من النار ، الذين لم يأخذوا العبرة من البوسنة ولا من طاجكستان ، و .. ، فليت شعري هل يدركون الآن أن تجفيف المنابع سياسة منيت بالفشل الذريع عند الذين ابتدعوها ومارسوها على أكمل وجه ، فكيف بها عند من لا يجيدون سوى المحاكاة ؟ ! لقد صدرت آلاف من أحكام الإعدام في حق هذا الدين .. ولكنه لا يزال حياً .. كم هو مثير للضحك والشفقة في آن ، أن يستجمع الرجل قواه ثم ينفخ باتجاه الشمس لعله يطفئها .. أو يحثو بالتراب في البحر يريد ليدفنه ...

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [التوبة : 32] .

قطوف

فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام والزيادة في البيان على مقدار الحاجة : لم يكن عياً ولا جهلاً ولا قصوراً ، وإنما كان ورعاً وخشية لله واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع .. من كتاب بيان فضل علم السلف على علم الخلف ، للحافظ ابن رجب ، تحقيق محمد العجمي .

قطوف

وصايا نبوية

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من طلب العلم ليُماري به السفهاء ، أو ليباهي به العلماء ، أو ليصرف وجوه الناس إليه ، فهو في النار) . وفي رواية عن حذيفة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، أو لتُماروا به السفهاء ، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم . فمن فعل ذلك فهو في النار) . وفي رواية عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تعلم العلم ليُباهي به العلماء ويجاري به السفهاء ، وتصرف به

وجوه الناس إليه ؛ أدخله الله جهنم) . عن صحيح سنن ابن ماجه ، ج1 ، للعلامة الألباني ..

تمت بعون الله والحمد لله